في
التنوير الإسلامي
«١٠»

المدرسة الفكرية والمشروع الفكري

تأليف
د. محمد عمارة

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

في التنوير الإسلامي ١٠

الدكتور/ يوسف القرضاوي

المدرسة الفكرية.. والمشروع الفكري

تأليف

د. محمد عمارة

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨

اسم السلسلة: في التنوير الإسلامي.
اسم الكتاب: د/ يوسف القرضاوى المدرسة الفكرية.. والمشروع الفكرى.
تأليف: دكتور / محمد عمارة.
تاريخ النشر: أكتوبر ١٩٩٧.
رقم الإيداع: ٩٧٩٨ / ١٩٩٧.
الترقيم الدولى: I . S . B , N 977 - 14 - 0642 -6
الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
المركز الرئيسى: ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة – مدينة السادس من أكتوبر
ت: ٣٣٠٢٨٧ – ٣٣٠٢٨٩ / ١١.
فاكس: ٣٣٠٢٩٦ / ١١.
مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صدقى – الفجالة – القاهرة.
ت: ٥٩٠٩٨٢٧ – ٥٩٠٨٨٩٥ / ٢.
فاكس: ٥٩٠٣٣٩٥ /٢.
ادارة النشر: ٢١ ش أحمد عرابى – المهندسين – القاهرة
ت: ٣٤٦٦٤٣٤ – ٣٤٧٢٨٦٤ / ٢. **فاكس:** ٣٤٦٣٥٧٦ /٢.

تعريف.. في سطور

- الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى ..
- عالم مسلم .. ولد بريف مصر - بقرية « صفط تراب » مركز المحلة الكبرى ، محافظة الغربية - في غرة ربيع الأول سنة ١٣٤٥ هـ ٩ سبتمبر سنة ١٩٢٦ م .
- حفظ القرآن الكريم ، وهو دون العاشرة من عمره .. ودرس بالمعاهد الدينية الأزهرية - الابتدائى والثانوى - بمدينة طنطا .. وتخرج من كلية أصول الدين - بالقاهرة سنة ١٩٥٣م .. ونال إجازة التدريس سنة ١٩٥٤م .. وحصل على الدكتوراه - من الأزهر - بمرتبة الشرف الأولى - عن أطروحته (فقه الزكاة) سنة ١٩٧٣ م .
- تفتحت مواهبه الإسلامية ، وبدأت مشاركاته فى العمل العام ، وهو بالمعهد الدينى بطنطا .. فشارك فى الحركة الإسلامية - جماعة الإخوان المسلمين - وفى الدعوة .. والخطابة .. وبدأت خطابته للجمعة وهو فى السابعة عشرة من عمره - بالقرية - وعمل خطيبا بمدينة المحلة الكبرى سنة ١٩٥١م ..
- اعتقل أكثر من مرة - فى العهد الملكى .. وبعد ثورة يوليو سنة ١٩٥٢م ..
- عمل - بعد تخرجه - بمراقبة الشئون الدينية ، بوزارة الأوقاف المصرية .. وخطيبا بجامع الزمالك سنة ١٩٥٦م .. وفى الإدارة الثقافية بالأزهر الشريف ..

- أُعير إلى دولة قطر سنة ١٣٨١هـ سنة ١٩٦١م ، مديرا لمعهدها الدينى .. فرئيسا لقسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية .. فعميدا مؤسسا لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية .. فمديرا المركز بحوث السنة والسيرة - الذى قام بتأسيسه ..
- عضو فى العديد من المؤسسات العلمية والخيرية .. من مثل : الهيئة الخيرية العالمية الإسلامية - بالكويت - والمجمع الفقهى لرابطة العالم الإسلامى - بمكة - والمجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية - بالأردن - ومركز الدراسات الإسلامية - بأكسفورد - ومجلس أمناء الجامعة الإسلامية العالمية - بإسلام آباد - ومنظمة الدعوة الإسلامية - بالخرطوم - ورئيس لهيئة الرقابة الشرعية فى عدد من المصارف الإسلامية ..
- قدم للمكتبة العربية والإسلامية قرابة التسعين كتابا - تُرجم العديد منها إلى العديد من اللغات الإسلامية والأجنبية - وذلك غير الخطب والمقالات والمحاضرات والأبحاث والمناظرات والفتاوى والأحاديث التى ملأت ساحات الفكر والدعوة والإعلام فى وطن العروبة وعالم الإسلام ، بل وخارج عالم الإسلام ..

لقد أتى على الثقافة الإسلامية ، فى تاريخها ، حين من الدهر أصابها فيه «فصام نكد» ، بل وصراع حاد بين « الصوفية » وبين «الفقهاء» . . ولقد كان «للدولة» ولموقع كل من الصوفية والفقهاء من سلطتها وسلطانها أو من أحضان « الأمة » دور فى تأجيج هذا الصراع وحدّة هذا الخلاف . .

لكن الذى يعنينا هنا هو الأثر الثقافى لهذا الفصام وذلك الصراع . . ذلك أنه قد **أثمر ألوانا من الفقهاء الذين لا «قلوب» لهم ، وطبقات من الصوفية الذين لا «عقول» لهم !** . . أثمر فقها وقف - حتى فى العبادات والشعائر والمناسك - عند الحركات والأشكال . . وأثمر تصوفا مغرقا فى الباطنية[1] ، وأحيانا فى الغنوصية[2] ، بل والشعوذة والخرافات . . فالحديث الفقهى عن

---

(١) الباطنية : وصف لكل الفرق التى غالت فى تأويل النصوص الدينية ، سواء بتعميم التأويل ، عندما زعموا أن لكل ظاهر باطنا ، ولكل تنزيل تأويل ، أو بالذهاب فى التأويلات إلى المعانى التى لاتقرها قوانين اللغة ولا ثوابت الشريعة ومحكمات عقائدها . ولقد كانت السرية هى أسلوب عمل أغلب الفرق الباطنية فى تاريخ الفكر البشرى .

(٢) الغنوصية : من الفرق المقالية فى التأويل . . رأت أن « المعرفة » ، بالمعنى الروحى والباطنى ، هى سبيل الخلاص ، وليس النص أو العقل . . وكلمة « غنوصية » جاءت من الكلمة اليونانية « غنوصيص » بمعنى : المعرفة . . ولقد كانت الفلسفة الغنوصية السبب الأول فى التحولات التى انتقلت بالنصرانية من التوحيد إلى فكر « الحلول » . . ولقد حاولت ذلك مع الإسلام ، ففشلت ، لكنها تركت آثارها فى فلسفة وحدة الوجود . انظر كتابنا (معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام) طبعة القاهرة سنة ١٩٩٧م .

الشعائر والمناسك غابت منه المقاصد التهذيبية والمضامين الروحية لحساب «الأداء» و «الأشكال» و «الحركات» و «السكنات» الخاصة بالمظاهر والأعضاء، الأمر الذى باعد، فى تعريف وتوصيف هذه الشعائر والمناسك، فى كتب الفقه، بينها وبين ثمرات القلب، من الخشية والورع والتقوى، التى هى لب العبادات ومقاصدها وثمراتها.. كما أصبح الحديث فى التصوف مقامات وأحوالا ومدارج ومعارج غابت عنها عقلانية الإسلام وضوابط شريعته وتحديدات المأثورات المحكمات من الكتاب والسنة.. وهذا القصام التكد - بين الفقهاء الذين لا «قلوب» لهم، والصوفية الذين لا «عقول» لهم - هو الذى اشتهر فى ثقافتنا الإسلامية بانفصال «الشريعة» عن «الحقيقة»، وذلك عندما جردت الشريعة من حقيقتها الروحية، وانفلتت الحقيقة الروحية من ضوابطها الشرعية!..

وفى مواجهة هذا الانحراف الثقافى كانت وقفة حجة الإسلام أبو حامد الغزالى (٤٥٠ - ٥٠٥هـ ١٠٥٨ - ١١١١م) الذى أراد إحياء العلوم الشرعية، لإنقاذها من الجفاف الذى كاد أن يصيبها بالموات، وضبط الأحوال الصوفية، إنقاذا لها من الباطنية والغنوصية، وذلك لإعادة مزيج وتزامل «العقل» و «القلب» و «النص» إلى ثقافة الإسلام.. حتى لقد جعل الغزالى موسوعته الفذة (إحياء علوم الدين) عنوانا لهذه الوقفة، وتأسيسا لهذا الاتجاه التصحيحى لثقافة الإسلام.. فالإسلام، فى جوهره ومقاصده «إحياء» للإنسان، بل ولكل ميادين الحياة ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾[٢]..

---

(١) الأنفال: ٢٤. (٢) العنكبوت: ٦٤.

وهو يسعى بهذا الإحياء الحياتى إلى الحياة الحقيقية والإحياء الحق فى الآخرة ، التى هى خير وأبقى « وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون »[1] وبغير امتزاج وتزاوج « العقل » و « القلب » واستمدادهما من مأثورات الإسلام المعصومة - القرآن الكريم والسنة الصحيحة - يغيب هذا « الإحياء » ، الذى هو جماع رسالة الإسلام ..

وإذا كان موقف حجة الإسلام الغزالى ، وصيحته ودعوته وإنجازاته العملاقة فى مختلف حقول الثقافة والعلوم الإسلامية ، قد غالبت ذلك الفصام النكد بين «العقل» و «القلب» ، بين «الفقه» و«التصوف» ، بين «الأثر» و «الذوق» ، دون أن تغلبه - وذلك بسبب سنن التراجع الحضارى التى أخذت بخناق الأمة لعدة قرون .. فلقد جاءت مدرسة الإحياء والتجديد الدينى - مدرسة الجامعة الإسلامية - التى تبلورت فى عصرنا الحديث من حول ، وبريادة جمال الدين الأفغانى (١٢٥٤ - ١٣١٤هـ ١٨٣٨ - ١٨٩٧م) لتواصل الجهاد فى هذا الميدان ، ميدان طى صفحة ذلك الفصام النكد بين «العقل» و«القلب» فى ثقافتنا الإسلامية .. فهذه المدرسة الإحيائية التجديدية قد تبلورت فى مواجهة مدارس فكرية أخرى ، منها :

١ - مدرسة الأثر والتقليد : التى لا تتجاوز ظواهر النصوص ، فكان تدينها شكليا جافا مخاصما لروحانية الدين ..

٢ - مدرسة التصوف المشوه : المنسحب من الحياة والحضارة والعمران ، والذى يدير ظهره لبراهين العقل ولدلالات النصوص المحكمة جميعا ..

٣ - ومدرسة التغريب والحداثة الغربية : التى بدأت من حيث انتهى الفكر الوضعى الغربى ، فأنكرت الدين كمصدر

للمعرفة ، ورفضت القلب كسبيل لتحصيلها ، ووقفت عند الواقع المادى والعقل والتجريب . .

فجاءت مدرسة الإحياء الدينى ، والوسطية الإسلامية الجامعة ، لتجمع فى مصادر المعرفة بين آيات الوحى - كتاب الله المسطور - وآيات الكون - كتاب الله المنظور - ولتعتمد - فى تحصيل المعارف والعلوم - على الهدايات الأربع : العقل والنقل والتجربة والوجدان (القلب) داعية بذلك إلى طى صفحة ذلك الفصام النكد بين «العقل» و « القلب » فى ثقافة الإسلام . .

فالأفغانى كان مجددا ، امتلك عقل الفيلسوف وقلب الصوفى ، فجاء تجديده مزيجا منهما . . فمع عقلانيته التى تتبدى فى مثل قوله : « إن نقطة افتراق الإنسان عن غيره من الحيوانات هى قوته العاقلة . . والله قد جعل قوة العقل للإنسان محور صلاحه وفلاحه . . فالعقل هو جوهر إنسانية الإنسان ، وهو أفضل القوى الإنسانية على الحقيقة . . »[1] .

مع هذه العقلانية ، لايجد الأفغانى لنفسه وصفا أدق من وصف « الدرويش » ! . . فيتحدث إلى نفسه - وعنها - فيقول : «أيها الدرويش الفانى . . م تخشى ؟! . . اذهب وشأنك ، ولا تخف من السلطان ، ولاتخشى الشيطان ! كن فيلسوفا ترى العالم أُلعوبة ! ولاتكن صبيا هلوعا . إنه سيان عندى ، طال العمر أو قصر . . فإن هدفى أن أبلغ الغاية ، وحينئذ أقول : فزت ورب الكعبة ! »[2] .

---

(١) (الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى) ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ . دراسة وتحقيق : د . محمد عمارة . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨ م .

(٢) المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٧ . طبعة بيروت سنة ١٩٧٩ م .

ففيه امتزجت عقلانية الفيلسوف بصوفية الدرويش ! . .

وعن هذه الحقيقة من حقائق الموقع الفكرى لجمال الدين الأفغانى ، يقول أعرف الناس به ، وأخبرهم بمدرسته ، الإمام محمد عبده (١٢٦٥ ـ ١٣٢٣ ـ ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م) : «أما مذهب الرجل ـ (الأفغانى) ـ فحنيفى حنفىّ وهو وإن لم يكن فى عقيدته مقلدا ، لكنه لم يفارق السنة الصحيحة ، مع ميل إلى مذهب السادة الصوفية ، رضى الله عنهم . . ولو قلت : إن ما أتاه الله من قوة الذهن وسعة العقل ونفوذ البصيرة هو أقصى ما قُدّر لغير الأنبياء ، لكنتُ غير مبالغ . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو فضل عظيم »[1] !

ففيه ، وفى مدرسته ، عاد الاقتران والامتزاج بين « السنة » و«التصوف» ، بين عقلانية الفيلسوف وروحانية الصوفى . . بين «العقل» و « القلب » من جديد . .

وعلى هذا الدرب ، الذى امتزج فيه العقل بالقلب ، فغدت «الشريعة» هى ضابط «الحقيقة» ، وغدت «الحقيقة» هى لب «الشريعة» ومقصدها ، كان الاجتهاد التجديدى لمهندس هذه المدرسة ، الإمام محمد عبده . . الذى قال عن مقام العقل فى تجديده واجتهاده : « إن الإسلام لايعتمد على شىء سوى الدليل العقلى ، والفكر الإنسانى الذى يجرى على نظامه الفطرى ، فلا يدهشك بخارق للعادة ، ولايغشى بصرك بأطوار غير معتادة ، ولايخرس لسانك بقارعة سماوية ، ولايقطع حركة فكرك بصيحة إلهية . . »[2] .

---

(١) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) جـ ٢ ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ . دراسة وتعليق د . محمد عمارة . طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣ .

(٢) المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٢٩٧ ، ٢٩٨

ومع هذه العقلانية، رأيناه قد اعتبر أن مشروعه الفكري إنما هو ثمرة من ثمرات النزعة الصوفية التي تربى عليها، والتي كانت الفتح الإلهي الذي جعله يُقبل على العلم والتعليم، حتى قبل لقائه بأستاذه جمال الدين الأفغاني. ولقد أشار إلى هذه الحقيقة فقال: «إنه لم يوجد في أمة من الأمم من يضاهي الصوفية في علم الأخلاق وتربية النفوس، وكل ما أنا فيه من نعمة في ديني، أحمد الله تعالى، فسببها التصوف»[1].

فلقد تزاملت العقلانية مع الروحانية الصوفية، مع الدعوة إلى السلفية في تلقي منابع الدين، وبعبارة محمد عبده: «تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة، قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى، واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لتزن من شططه، وتقل من خلطه وخبطه، لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الإنساني، وإنه على هذا الوجه يعد صديقاً للعلم، باعثاً على البحث في أسرار الكون، داعياً إلى احترام الحقائق الثابتة، مطالباً بالتعويل عليها في أدب النفس وإصلاح العمل»[2].

وهذا المزيج بين العقل والقلب والنص - العقلانية الصوفية السلفية - هو الذي ميز نظرية المعرفة الإسلامية، كما عبر عنها الإمام محمد عبده، تلك التي برئت من ذلك الفصام النكد، فلم تقف عند النقل وحده، أو العقل وحده، أو القلب وحده، وإنما اعتمدت على «الهدايات الأربع» في تحصيل المعارف والعلوم، على

(١) المصدر السابق، جـ ٣ ص ٥٥١، ٥٥٢.
(٢) المصدر السابق، جـ ٢ ص ٣١٤.

العقل والنقل والتجربة والوجدان «فلقد منح الله تعالى الإنسان أربع هدايات يتوصل بها إلى سعادته: أولاها هداية الوجدان الطبيعي والإلهام الفطري، والثانية هداية الحواس والمشاعر، والثالثة هداية العقل الذي يصحح غلط الحواس والمشاعر، وبين أسبابه، والرابعة هداية الدين التي تصحح غلط العقل والحواس» ولذلك قال الأستاذ الإمام «إن أحكام الدين، حتى المعاملات منها، ينبغي أن تساق إلى الناس مساق الوعظ تحرك القلوب، لا أن تسرد سردا جافا، كما ترى في كتب الفقه»[2]

وعلى هذا الدرب، سار أعلام هذه المدرسة وعلماء ذلك التيار الإحياء والتجديد في مختلف بلاد الإسلام. فالشيخ محمد رشيد رضا (١٢٨٢ - ١٣٥٤هـ ١٨٦٥ - ١٩٣٥م) بدأ مسيرته الفكرية صوفيا، ومريدا منخرطا في «الطريقة النقشبندية» ثم تضلع في علوم المأثور. فلما قرأ بعض أعداد مجلة (العروة الوثقى) التي سبق وأصدرها الأفغاني ومحمد عبده (١٣٠٠هـ ١٨٨٣م)، كانت له منهاج جامع بين الأثر والرأي، بين النقل والعقل والوجدان، حتى لقد تحدث عنها فقال: «والذي علمته من نفسي ومن غيري أنه لا يوجد بكلام عربي في هذا العصر ولا في قرون قبله بعض ما كان يهدي العروة الوثقى، من إصابة موقع الوجدان من القلب والإقناع من العقل، ولا حد للبلاغة إلا هذا»[3]!

---

(١) المصدر السابق جـ ٤ ص ٤٠، ٤١

(٢) المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٢٨

(٣) «تاريخ الأستاذ الإمام» جـ ١ ص ٣٠٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٣١م

فلما هاجر الشيخ رشيد من طرابلس الشام إلى مصر أصبح المريد والترجمان للإمام محمد عبده وحامل تجديد هذه المدرسة الفكرية - عبر مجلة (المنار) إلى عالم الإسلام على امتداد أربعين عاما. فغدا الإمام الجامع في إبداعه وتجديده بين قلب الصوفي وعقل المجتهد، مع إضافته المتميزة التي جعلته يؤصل ويبرهن على اجتهادات عقل هذه المدرسة التجديدية بالنصوص والمأثورات[1].

وعلى هذا الدرب سار عشرات من الأعلام والعلماء تفاوتت إنجازاتهم وأصنافهم، وتنوعت اهتماماتهم ومبادئ التركيز في إبداعاتهم الفكرية وحقول تجديدهم، لكنهم جمعوا بين نور العقل ونور القلب فيما تركوا من بصمات في الثقافة الإسلامية الحديثة والمعاصرة.

فالإمام الشهيد الشيخ حسن البنا (١٣٢٤ - ١٣٦٨هـ ١٩٠٦ - ١٩٤٩م) كان الداعية الذي كاد أن يكون قلبا يتدفق منه النور العذب والعذوبة النورانية إلى قلوب سامعيه وقارئيه. وفي ذات الوقت، كان الفقيه - بل والمتكلم - الذي يضبط مصطلحاته - رغم أسلوبه الأدبي - بأدق موازين الفقهاء والمتكلمين. حتى لقد صدق وأجاد عندما دعا إلى تزامل العقل والغيب في الثقافة الإسلامية: «فلقد جاء الإسلام الحنيف فجمع بين الإيمان بالغيب والانتفاع بالعقل، والمجتمع الإنساني لن يصلحه إلا اعتقاد روحي يبعث في النفوس مراقبة الله. في الوقت الذي يجب على الناس فيه أن يطلقوا لعقولهم العنان للعلم والعرف

[1] محمد عمارة: مسلمون ثائرون، ص ٤٤٧ - ٤٥٧، طبعة القاهرة سنة ١٩٨٨م

وتخترع وتكتشف وتسخر هذه المادة الصماء، وتنتفع بما في الوجود من خيرات وميزات. فإلى هذا اللون من التفكير، الذي يجمع بين العقليتين، العينية والعلمية، ندعو الناس..»[1]

كما صدق وأجاد عندما وصف دعوته بأنها «تجديدية - وسلفية - وصوفية» في آن واحد. «فهي دعوة من الدعوات التجديدية حياة الأمم والشعوب، ودعوة سلفية، وطريقة سنية، وحقيقة صوفية، وهيئة سياسية، وجماعة رياضية، ورابطة علمية ثقافية، وشركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية»[2] في آن واحد.

والشيخ محمد الغزالي (١٣٣٥ - ١٤١٦هـ/١٩١٧ - ١٩٩٦م) هو علم من أعلام هذه المدرسة، جمع، في سهولة الممتنع، عقلا كبيرا، وقلبا بالخشية والتقوى عامرا ومنيرا، وفقها يهتم بالمنطق الفقهي والمقاصد الشرعية والهدايات القرآنية، ليجعلها ضوابط فقهه أكثر من اهتمامه بمراكمة المأثورات والمرويات.

وإذا كان الشيخ محمد الغزالي، عليه رحمة الله ورضوانه، في هذا المنهج والموقع والموقف، هو أقرب إلى الإمام محمد عبده فإن الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي - وهو والغزالي من الثمار الطيبة للشجرة المباركة - شجرة حسن البنا - هو أشبه، في مشروعه الفكري وإلباب إبداعاته الفكرية - بالإمام الشيخ رشيد رضا. فلقد جمع إلى عقلانية هذه المدرسة التجديدية قلب الداعية - وهو الذي نشأ وعاش ونضج وأبدع كواحد من أبرز

---

(١) (مجموعة رسائل الإمام الشهيد) ص ١١٠ - ١١٢ طبعة دار الشباب - القاهرة - بدون تاريخ.

(٢) المصدر السابق ص ١٢٢، ١٥٤، ١٥٥.

دعاة الحركة الإسلامية المعاصرة مع بحار ماهر في محيطات المأثورات، وذلك عندما امتلك أدوات الضبط والتحرير لمسانيدها، والعقل النافذ والموازن والمقارن بين متونها ودلالاتها، مع التميز بين علماء هذه المدرسة بالشرح والإفاضة والإلحاح على التفصيل والتوضيح للأفكار، وذلك بحكم العروة الوثقى التي ربطت بينه وبين الدوائر الأوسع من الجمهور في الصحوة الإسلامية المعاصرة، فحق له أن يكون النموذج المشرق للداعية الفقيه، وحق لمشروعه الفكري أن يكون واحدا من أبرز مشاريع فقه الدعوة الإسلامية في الواقع المعاصر الذي نعيش فيه.

وعن هذه الحقيقة، حقيقة الموقع الفكري والمدرسة الفكرية التي ينتمي إليها الدكتور يوسف، يقول: "لقد كانت فرصة لقائي بالإمام حسن البنا محدودة، كان في القاهرة، وكنت في طنطا، حيث أدرس في معهدها الديني، فحرمت التلمذة المباشرة على إمام الدعوة، لكني قرأت تقريبا كل ما عثرت عليه من تراثه، وتتلمذت على أفكاره المبثوثة في رسائله ومقالاته، وفي تلامذته وأصحابه الذين عايشوه ونقلوا عنه العلم والعمل والفكر والسلوك، والحق أني لم أعجب بشخصية حية لفتتها وتأثرت بها، كما أعجبت بشخصية الشهيد حسن البنا، الذي آتاه الله من المواهب والملكات ما تفرق في عدد من الشخصيات، فقد جمع بين العلم والتربية، ومزج بين الفكر والحركة، وربط بين الدين والسياسة، ووصل بين الروحانية والجهاد، وكان النموذج الحي للرجل القرآني، والمعلم الرباني، والمجاهد الإسلامي، والداعية العصري، والمنظم الحركي، والمناضل السياسي، والمصلح الاجتماعي".

(١) (شيخ الإسلام) ص ٦ - ٨، طبعة القاهرة سنة ١٤١٥هـ سنة ١٩٩٥م

وهو يعلن عن إعجابه الشديد بالشيخ رشيد رضا، إمام إمامة حسن البنا فيقول: «... وأنا من أشد المعجبين بالشيخ رشيد، وأعتبره أحد مجددي الإسلام، وواحد من أعلامه الراسخين في العلم، المستقلين في الفكر، المجتهدين في الدين، وقد كان مجلته «المنار» وتفسيره وكتبه وفتاويه، أثر لا يجحد في تنبيه الأمة الإسلامية من غفلتها، وتحريرها من أغلال التقليد، وتنقية الدين مما شابه من البدع، والدعوة إلى الإسلام، بوصفه عقيدة وشريعة وحضارة، فهو في طبيعة دعاة السلفية، الذين ناصروا مدرسة السلفية بالعقل والنقل، وبالسنن التي تخاطب العقل المعاصر، وتدعو إلى الإسلام كما أنزله الله في كتابه، وبعث به رسوله ﷺ»[1].

إنها مدرسة الإحياء الديني والتجديد الإسلامي، تمايزت فيها إسهامات العلماء والمفكرين والدعاة، في إطار الوسطية الإسلامية الجامعة بين مصادر العلم الإسلامي والمعرفة الإسلامية كتابي الوحي والكون - وبين سبل المعرفة الإسلامية - العقل والنقل والتجربة والوجدان.

---

[1] فتاوى معاصرة، جـ ٢ ص ٨٣، طبعة القاهرة سنة ١٤٠٥ هـ، سنة ١٩٩٤ م.

المشروع الفكري

مشروع الفكري للدكتور يوسف القرضاوي، لا يقف عند الكتب التي قدمها للمكتبة العربية الإسلامية، وهي التي قاربت [illegible] كتابا، ترجم [illegible] منها إلى العديد من اللغات الإسلامية والأجنبية، وإن كانت هذه الكتب، وهي موضوع حديثنا، أهم ما في هذا المشروع.

ذلك أن مشروعه الفكري، كداعية [illegible] وكمعلم وخطيب.. وكمحاور ومناظر.. ومجاهد، قد [illegible] متعدد الجبهات، [illegible] حياة [illegible] أشبه ما يكون [illegible] في جيش الإحياء الإسلامي المعاصر، [illegible] ويربط صاحبها على [illegible] من ثغور الإسلام [illegible] ومجتهد [illegible] الإسلام مشروعا حضاريا متكاملا لإحياء الأمة بالإسلام [illegible]

فعلى ثغرة الجهاد الحركي [illegible] الرجل [illegible] يستحق أن يكون موضوعا [illegible]

وعلى ثغرة الجهاد التربوي والتعليمي [illegible] منهم مقاعد الأستاذية والعطاء

وعلى ثغرة الجهاد الدعوي الجماهيري [illegible] ومنابرها، وأجهزة الإعلام، على [illegible] الإسلام، وخارج عالم الإسلام حيث الأقليات الإسلامية في مختلف القارات والبلاد

لكن حديث هذه الصفحات سيقف عند مشروع الفكري للرجل كما جسدته مؤلفاته التي قامت ركنا من أركان المكتبة الإسلامية المعاصرة. وهو حديث لا يطمح إلى دراسة تفصيلية ومعمقة. فلو نهض مثلي من عارفي فضل الدكتور يوسف وحظر مشروعه الفكري بهذه الدراسة المعمقة لاحتاج الأمر إلى سفر كبير. وإنما الهدف الذي نحن بصدده هو تحديد «خارطة» المعالم. ربما أشبهت، في فن التأليف، المقدمات في تصنيف العلوم والفنون. فهي أشبه بالتقديم للمشروع الفكري منها بالدراسة له. وأقرب إلى ترتيب معالمه منها بالتقويم لما في هذه المعالم من رؤى واجتهادات. وهي إشارات إلى موقعه من حياتنا الفكرية المعاصرة دون أن تغوص في تفاصيل معالم هذا الموقع وقضاياه.

ثم إن مشروع الرجل - مد الله في عمره - لا يزال كتابا مفتوح الصفحات يعيش ذروة النضج الفكري والغزارة في الإنتاج. فالحديث - هنا - إنما هو عن «خارطة» تشهد المزيد والمزيد من المساحات في كل عام. ويتمنى لها المزيد والمزيد من الغنى بالمعالم والقسمات، والتزين بالجديد من الاجتهادات.

* * *

وفي «خارطة» هذا المشروع الفكري يستطيع أن نصنف الكتابات التي توجهت إلى:

● خدمة بنات الإسلام العقيدة والشريعة والعبادة والأخلاق. وفيها قدم الدكتور يوسف خمسة عشر بنا

تناولت جوهر الإسلام ، عقيدة وشريعة وقيما وأخلاقا ومناسك وعبادات . وتحدثت عن مقاصد الشريعة ، وتحقيق المصالح وعن المصادر الأصلية للشريعة - كتابا وسنة . وعن مصادرها الفرعية ذات الصلة بالمصادر الأصلية - إجماعا وقياسا . وعن عوامل السعة في الشريعة الإسلامية - من القياس والاستحسان والاستصلاح والعرف . وعن خصائص الشريعة الربانية والأخلاقية ، والواقعية ، والإنسانية ، وما فيها من تناسق وشمول وعن ثبات القيم والأخلاق ، وخصائصها وثمراتها . وعن العبادات ، ودورها الروحي في الإحياء للذين يتعبدون بها لواحد المعبود .

عن هذه المحاور ، التي هي لباب الدين ، تحدث الدكتور يوسف في مؤلفاته :

١ - (وجود الله) . .

٢ - و (حقيقة التوحيد)

٣ - و (مدخل لمعرفة الإسلام) مقوماته . خصائصه . أهدافه . مصادره .

٤ - و (الخصائص العامة للإسلام) .

٥ - و (الإيمان والحياة) .

٦ - و (موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ومن التمائم . . والكهانة . . والرقى) . .

٧ - و (شريعة الإسلام) . .

٨ ـ و (مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية)

٩ ـ و (عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية

١٠ ـ و (شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان)

١١ ـ و (العبادة في الإسلام) .

١٢ ـ و (الدين في عصر العلم)

١٣ ـ و (الحياة الربانية والعلم) ..

١٤ ـ و (النية والإخلاص) .

١٥ ـ و (التوكل) .

● ولهذا الدين الإسلامي ـ العقيدة والشريعة والعبادة والأخلاق مرجعية إلهية معصومة ، تمثلت وتتمثل في الوحي الإلهي القرآن الكريم ، الذي هو بلاغ الله إلى العالمين وفي السنة النبوية الشريفة ، التي هي البيان النبوي للبلاغ القرآني

وعن هذه المرجعية القرآن والسنة وعن علومهما قدم الدكتور يوسف ـ في مشروعه الفكري هذه المكتبة العشرة

١٦ ـ (المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة) ضوابط ومحاذير في الفهم والتفسير .

١٧ ـ و (العقل والعلم في القرآن الكريم

١٨ ـ و (الصبر في القرآن الكريم) .

١٩ ـ و (تفسير سورة الرعد)

٢٠ ـ و (مدخل لدراسة السنة)

٢١ ـ و (كيف نتعامل مع السنة النبوية) معالم وضوابط

٢٢ ـ و (السنة النبوية مصدرا للمعرفة و الحضارة)

٢٣ ـ و (الرسول والعلم) ..

٢٤ ـ و (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب ، للمنذري) ـ انتقاء ، وتقديم ، وتعليق ، وفهرسة ـ ج ١ ، ٢ .

٢٥ ـ و (نحو موسوعة للحديث النبوي مشروع منهج مقترح)

● أما في الفقه ـ بمعناه الواسع وهو الميدان الأول من ميادين الجهاد الفكري للدكتور يوسف فقد قدم الرجل للمكتبة الإسلامية ثمانية وأربعين كتابا تناولت الفقه وأصوله وفقه السلوك ، في ضوء القرآن والسنة والإحياء الفقهي ، بالجمع بين العقل والقلب والنص ، لإزالة الفصام بين العقل والقلب ، ذلك الذي حول الفقه إلى شكل بلا مضمون وأبيات بلا مقاصد ، وقوالب بلا روح وفقه الواقع المادي فقه الاقتصاد والثروة والمال . وفقه الدعوة ، والتربية ، وترسية الصحوة الإسلامية المعاصرة

في هذا الميدان الفقهي بهذا المعنى الواسع ، قدم هذا المشروع الفكري ثمانية وأربعين كتابا منها اثنى عشر كتابا في الفقه بالمعنى الاصطلاحي وفي أصوله ومشكلاته هي

٢٦ ـ الاجتهاد في الشريعة الإسلامية)

٢٧ ـ و (الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط)

٢٨ ـ و (الفتوى بين الانضباط والتسيب)

٢٩ ـ و (في فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة) .

٣٠ ـ و (الحلال والحرام في الإسلام)

٣١ ـ و (فقه الصيام) ..

٣٢ ـ و (جريمة الردة وعقوبة المرتد في ضوء القرآن والسنة) .

٣٣ ـ و (ظاهرة الغلو في التكفير) .

٣٤ ـ و (فتاوى المرأة المسلمة) .

٣٥ ـ و (النقاب للمرأة بين القول ببدعيته والقول بوجوبه)

٣٦ ـ و (فتاوى معاصرة) جـ ١ ، ٢ .

٣٧ ـ و (الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد)

ومنها خمسة كتب في فقه الاقتصاد الإسلامي هي

٣٨ ـ (فقه الزكاة) جـ ١ ، ٢

٣٩ ـ و (عوامل نجاح مؤسسة الزكاة في التطبيق المعاصر)

٤٠ ـ و (مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام)

٤١ ـ و (فوائد البنوك هي الربا الحرام) دراسة فقهية في ضوء القرآن والسنة والواقع .

٤٢ ـ و (دور اليتيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي)

أما فقه الدعوة والتربية وترشيد الصحوة الإسلامية، فكان نصيبه في هذا المشروع الفكري واحد وثلاثين كتابا هي

٤٣ ـ (شمول الإسلام) في ضوء شرح مفصل للأصول العشرين للإمام الشهيد حسن البنا .

٤٤ ـ و (التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا)

٤٥ ـ و (أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة

٤٦ ـ و (الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتمزق المذموم)

٤٧ ـ و (الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف

٤٨ ـ و (الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي الإسلامي

٤٩ ـ و (الصحوة الإسلامية بين الآمال والمحاذير)

٥٠ ـ و (من أجل صحوة راشدة ، تجدد الدين وتنهض بالدنيا)

٥١ ـ و (الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة

٥٢ ـ و (أين الخلل ؟) .

٥٣ ـ و (ثقافة الداعية

٥٤ ـ و (الإسلام والفن) ..

٥٥ ـ و (الوقت في حياة المسلم) ..

٥٦ ـ و (مركز المرأة في الحياة الإسلامية)

٥٧ ـ و (لماذا الإسلام ؟)

٥٨ ـ و (واجب الشباب المسلم اليوم)

٥٩ ـ و (مسلمة الغد) .

٦٠ ـ و (الإسلام الذى ندعو إليه)

٦١ ـ و (التربية عند الإمام الشاطبى)

٦٢ ـ و (الناس والحق) .

٦٣ ـ و (قيمة الإنسان وغاية وجوده فى الإسلام)

٦٤ ـ و (المبشرات بانتصار الإسلام) .

٦٥ ـ و (نساء مؤمنات) .

٦٦ ـ و (رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد

٦٧ ـ و (درس النكبة الثانية لماذا انهزمنا وكيف ننتصر؟)

٦٨ ـ و (الإمام الغزالى بين مادحيه وناقديه)

٦٩ ـ و (الشيخ الغزالى كما عرفته رحلة نصف قرن)

٧٠ ـ و (خطب الشيخ القرضاوى) .

٧١ ـ و (قضايا معاصرة على بساط البحث)

٧٢ ـ و (لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام المعاصر

٧٣ ـ و (قطوف دانية من الكتاب والسنة)

● وزعم أن هذا الذى سبقت الإشارة إليه من مقررات المشروع الفكرى للدكتور يوسف القرضاوى ـ إنما يمثل [illegible] فى

صناعة الإسلام مشروع حضاري [illegible] لا
[illegible] فقه المشروع الحضاري [illegible]
[illegible] مشروع الإسلام الحضاري [illegible] الذي فرض على [illegible]
[illegible]
[illegible] الإسلام [illegible]
[illegible] الإسلامي [illegible]
[illegible] وهي [illegible] في تصحيح
[illegible] الإسلامي [illegible]
لأمة من مأزق حضاري يأخذ منها بالخناق

في فقه المشروع الحضاري الإسلامي [illegible] قدم الدكتور يوسف
ضمن مشروعه الفكري هذه المؤلفات :

٧٤ ـ (الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم)

٧٥ ـ و (الإسلام حضارة الغد) .

٧٦ ـ و ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده

٧٧ ـ و الحل الإسلامي فريضة وضرورة

٧٨ ـ و [illegible] الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمتغربين

٧٩ ـ و الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا)

٨٠ ـ و (الإسلام والعلمانية وجها لوجه)

٨١ ـ و (الأقليات والحل الإسلامي) .

٨٢ ـ و غير المسلمين في المجتمع الإسلامي

● وإن كانت روح الأديب وثقافته وأسلوبه ملحوظة في كل الأعمال الفكرية للدكتور يوسف القرضاوي ، فإن مشروعه الفكري قد شهد أعمالا أدبية أربعة ، اختصت بها إبداعاته الشعرية والأدبية ، فهو داعية فقيه ، وأديب ، لا يخاصم الجماليات التي زين الله بها هذا الوجود ، فلقد حباه الله عقل شاعر ، وقلب مفكر ، ووجدان فقيه .

وغير سريان هذا المزيج في الكثير من كتاباته .. وغير ما كتبه في كتابه (الإسلام والفن) وفي العديد من فتاواه عن انتصار الإسلام للآداب والفنون الرفيعة ، فلقد اختصت إبداعاته الشعرية والأدبية بهذه الكتب :

٨٣ - (نفحات ولفحات) - وهو ديوان شعر

٨٤ - و (المسلمون قادمون) - وهو ديوان ثان من أشعاره

٨٥ - و (يوسف الصديق) - وهي مسرحية شعرية

٨٦ - و (عالم وطاغية) - وهي مسرحية تاريخية

تلك هي « خارطة » المشروع الفكري لهذا الداعية الفقيه أشرنا فيها - مجرد إشارات - إلى معالمها ، تلك التي مثلت وتمثل هموم مفكر مجاهد المرابط على ثغور الإسلام ، في مواجهة أشرس التحديات - الداخلية منها والخارجية - وهو مشروع ، يمثل في حياتنا الفكرية المعاصرة كتيبة من كتائب الجهاد الفكري ، المجددة لدين الإسلام كي تتجدد به دنيا المسلمين ، بل دنيا العالمين أجمعين !

أما إذا شئنا إشارات إلى نماذج مجرد إشارات إلى مجرد نماذج من القضايا والمشكلات والسمات والقسمات التي وقف عندها الدكتور يوسف القرضاوي، متخذا منها سبيلا لإحياء العقول والقلوب بالإسلام، وأبوابا إلى ميادين صناعة مواكب الصحوة الإسلامية وإنارة طريق عملها بالإسلام، أي بعض من «القضايا المعالم» على طريق النهوض الإسلامي، فإننا واجدون من بين هذه القضايا:

١ قضية: الانتماء إلى الأمة الإسلامية الواحدة

٢ قضية: الوسطية الإسلامية الجامعة

٣ قضية: الإحياء المعاصر للاجتهاد الإسلامي

٤ ـ قضية: منهاج التعامل مع القرآن الكريم

٥ قضية: منهاج التعامل مع السنة النبوية الشريفة

٦ ـ قضية: التجديد للفقه الإسلامي

٧ ـ قضية: الإفتاء الإسلامي المعاصر.

٨ ـ قضية: الثقافة العربية الإسلامية.

٩ قضية: المشروع الحضاري الإسلامي بديلا عن المشروع العربي العلماني.

١٠ وأخيرا: تواضع العالم، الذي يخشى الله سبحانه وتعالى، عندما يتحدث عن نفسه.

بث نماذج من « القضايا المعالم » في مشروع فكري يعتمد تفاصيل ، يقف أمامها بإشارات .

مجرد إشارات

● الانتماء إلى الأمة الإسلامية الواحدة

صاحب هذا المشروع الفكري يسبب لديه « مشكلة » في قضية « الانتماء » فهو ينتمي إلى الأمة الإسلامية ، التي تلوّنها رسالة الإسلام . فالإسلام قد أقام للانتماء جوامع خمسة موحدة للذين آمنوا بهذا الدين أو ارتضوا أن يستظلوا بظلاله الحضارية : وحدة العقيدة ، ووحدة الشريعة ، ووحدة الأمة ، ووحدة الحضارة ، ووحدة الدين . وتحت كل جامع من هذه « الجوامع الأصلية » تندرج تنوعات وتمايزات ودرجات من « الانتماءات الفرعية » ، التي لا تتناقض مع هذه الجوامع الأصلية ، وإنما تختصها هذه الأصول اختصاص الأصول لفروعها . فتمايز التصورات لا يقدح في وحدة العقيدة ، وتعدد المذاهب الفقهية يعني ويثري وحدة الشريعة ، والاختلاف في الشعوب والقبائل والبيئات ، ومن ثم في القوميات لا ينفي وحدة الأمة ، وتعدد الأقاليم والأقطار والولايات لا يقطع روابط الوحدة عن دار الإسلام .

بهذه الحقيقة الإسلامية يؤمن الدكتور يوسف ، بل لقد جعلها الرجل واحدة من المعارك الفكرية التي خاضها ضد المغربين الذين استعاروا لمفاهيم غربية ، ذات الطابع العنصري « للأمة » و« القومية » و« الدولة » فأقاموا التناقضات الوهمية بين العروبة والإسلام ، وبين تعدد الدول القطرية وبين وحدة دار الإسلام ، ومن ثم أنكروا وجود أمة إسلامية واحدة تنتمي إليها شعوب الإسلام وقوميات لغات أمته .

جعل الدكتور يوسف هذه القضية - قضية وحدة الأمة الإسلامية - واحدة من معاركه الفكرية ضد مفاهيم التغريب والمغربين، فكتب يقول: «إن الأمة الإسلامية حقيقة بكل معيار، هي حقيقة بمنطق الدين، وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا» [1] «مثل أمتي كالمطر، لا يدرى أوله خير أم آخره» [2] وهي حقيقة بمنطق التاريخ، فقد وُلدت مع الإسلام، ونمت بنموه واتسعت باتساعه وهي حقيقة بمنطق الجغرافيا، فهي تعيش في أقطار متصلة متشابكة من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي، وهي حقيقة بمنطق الواقع، فالشعور بوجود الأمة ووحدتها، والإحساس بآلامها وأفراحها، شعور سائد ومتغلغل في كيان أبنائها وأعماق وجدانهم، وهي حقيقة بمنطق الآخرين، الذين يعرفون هذه الحقيقة حق المعرفة، وينظرون إلى المسلمين باعتبارهم أمة ذات عقيدة واحدة، وفلسفة كلية واحدة، وقيم أساسية مشتركة، وأصول فكرية وخُلقية جامعة، وتطلعات طموحة متلاقية.

وهي ضرورة بمنطق المصلحة المعاصرة، التي توجب البحث عن تكتل كبير، يستكثر به من قلة، ويعتز به من ذلة، ويقوى به من ضعف، ويأمن به من خوف.

وهذه الأمة الواحدة ذات شعوب متعددة بتعدد الأجناس واللغات والأوطان «وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا» [3]، وتعدد

---

(1) البقرة: ١٤٣

(2) رواه أحمد والترمذي وابن حبان وأبو يعلى والطبراني وأبو نعيم

(3) الحجرات: ٣

الشعوب والقبائل في الأمة الإسلامية لا يجعل منها مشكلة إذا كان الإسلام هو الموجه لها، والحاكم لتصرفاتها، فالإسلام يذيب الفوارق بين هذه الشعوب، بعقائده وقيمه وأحكامه وآدابه، ويصهر الجميع في بوتقته، ويكون اختلافهم في هذه الحال اختلاف تنوع وإثراء لا اختلاف تضاد وتصارع.

والإيمان «بالأمة» المؤسسة على عقيدة الإسلام، وأخوة الإيمان، والتي تضم جميع المسلمين في رحابها حيث كانوا لا ينفي أن هناك خصوصيات معينة لكل قوم، يعتزون بها ويحافظون عليها، ولا يفرطون فيها، ولا مانع من ذلك إذا لم تتحول إلى عصبية عرقية تقاوم أخوة الإسلام، أو إلى نزعة أنانية انفصالية تهدد وحدة دولة الإسلام[2]، وبذلك، فلا تناقض في ثقافتنا بين العروبة والإسلام[3]».

وإذا كان الإسلام هو الجامع العقدي لأمة محمد ﷺ، فإن حضارته قد غدت الجامع لكل الذين استظلوا بظلالها من غير المسلمين، لهم مع المسلمين كامل حقوق المواطنة، كأبناء أمة واحدة. فغير المسلمين، هم «بالتعبير الحديث «مواطنون» في الدولة الإسلامية، أجمع المسلمون منذ العصر الأول إلى اليوم أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، إلا ما هو من شئون الدين والعقيدة، فإن الإسلام يتركهم وما يدينون»[4].

---

١ - الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم) ص ١٠-١٩ طبعة القاهرة سنة ١٤١٥هـ سنة ١٩٩٥م.

٢ - شئون الإسلام ص ٩ طبعة القاهرة سنة ١٤١٥هـ سنة ١٩٩٥م.

٣ - الثقافة العربية الإسلامية بين أصالة ومعاصرة ص ٧٨ طبعة القاهرة سنة ١٤١٤هـ سنة ١٩٩٤م.

٤ - الحلال والحرام في الإسلام ص ٣٢٨ طبعة الدار البيضاء سنة ١٤١٥هـ سنة ١٩٩٥م.

فنحن أمام مشروع فكري إسلامي ينتمي صاحبه إلى الأمة الإسلامية الواحدة، ويتوجه به إلى هذه الأمة الواحدة، حتى لقد جعل وحدة هذه الأمة معركة من معارك الفكرية لهذا المشروع.

* * *

● الوسطية الإسلامية الجامعة

وإذا كانت الوسطية بالمعنى الإسلامي المتميز، والجامع هي واحدة من أخص خصائص الأمة الإسلامية، حتى لقد تحدث عنها القرآن الكريم باعتبارها «جعلا إلهيا»[1] وكذلك جعلناكم أمة وسطا[2]، فلقد رأينا لها مكانا ملحوظا في المشروع الفكري للدكتور يوسف، حتى لقد مثلت مزاج هذا المشروع، والمعيار الحاكم للاجتهادات وتجديدات صاحبه، فالرجل داعية للوسطية الإسلامية، وهذا المشروع الفكري الذي أبدعه هو واحد من مشاريع فكر الوسطية الإسلامية، التي برئت من علوي الإفراط والتفريط، وجمعت ووزنت بين عناصر الحق والعدل والاعتدال في كل القضايا والفتاوى والاجتهادات.

فالوسطية، هي منهاج النبوة، «منهج وسط، لأمة وسط، منهج يتميز بالتوازن، فهو يوازن بين الروح والجسد، بين العقل والقلب، بين الدنيا والآخرة، بين المثال والواقع، بين النظر والعمل، بين الغيب والشهادة، بين الحرية والمسئولية، بين الفردية والجماعية، بين الاتباع والابتداع»[3].

---

(١) البقرة: ١٤٣.

(٢) كيف نتعامل مع السنة النبوية، ص ٢٤، طبعة القاهرة سنة ١٤١٠ هـ سنة ١٩٩٠ م.

وهذه الوسطية الإسلامية جامعة بين العقل والشرع، على النحو الذي يجعل نورهما نورا على نور. «فالعقل قد أعطى كل جوانب الكون، علويه وسفليه، الإنسان بحاضره وماضيه، آيات الله الكونية والتنزيلية. فمن لم يستخدم عقله في هذه النواحي كلها، كان خليقا ألا يهتدي إلى الحق، وأن يسير في ركاب أهل الضلال والإضلال، وأن يقول مع أهل الشقاء في النار يوم القيامة ما حكاه الله عنهم: ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير﴾ (١)»(٢).

والمقابل المناقض للعقل في الوسطية الإسلامية ليس «النقل والشرع»، وإنما هو «الجنون»، الذي ليس معه «عقل» ولا «نقل»، وإنما هو مسقط لكل «تكليف». ولذلك، فإن هذه الوسطية الإسلامية جامعة تتزامن فيها وتمتزج «العقل» و«النقل» و«النقل» و«القلب» جميعا. ومن هنا، «فإن ما أوهمه بعض الكتاب من أن النشأة الدينية لا تهيئ مناخ علمي مزدهر، بافتراض وجود صراع بين النقل والعقل، أو بين النص الإلهي والاجتهاد الإنساني، غير صحيح، بل ترده النصوص، ويرده التاريخ، ويرده الواقع، فالعقل هو المخاطب بنص الشرع، والمكلف بفهمه والعمل به، والاجتهاد في دلالته، وملء الفراغ فيما لا نص فيه. وقد ترك النقل أو الوحي ـ للعقل شئون الكون والحياة كلها يصول فيها ويجول، ولم يحجر عليه في ذلك، بل أمره وحرّضه ودعاه

---

(١) الملك: ١٠ ـ ١١

(٢) العقل والعلم في القرآن الكريم، ص ٢١، طبعة القاهرة سنة ١٤٠٦ هـ ١٩٩٦ م.

والمحققون من علماء الأمة اعتبروا الوحي والعقل هاديين للخلق إلى الحق. يقول الإمام الراغب الأصفهاني في كتابه القيم (الذريعة إلى مكارم الشريعة): «لله، عز وجل، إلى خلقه رسولان، أحدهما من الباطن، وهو العقل، والثاني من الظاهر، وهو الرسول. ولا سبيل لأحد إلى الانتفاع بالرسول الظاهر ما لم يتقدمه الانتفاع بالباطن، فالباطن يعرف صحة دعوى الظاهر، ولولاه لما كانت تلزم حجة بقوله، ولهذا أحال الله من يشكك في وحدانيته وصحة نبوة أنبيائه على العقل، فأمره أن يفزع إليه في معرفة صحتها. فالعقل قائد والدين مدد، ولو لم يكن العقل لم يكن الدين باقيا، ولو لم يكن الدين لأصبح العقل حائرا، واجتماعهما كما قال الله تعالى: (نور على نور)»[2].

ولذلك، «لا عجب أن يتفق العقل والنقل، ويلتقي العقل الصريح والنقل الصحيح لا محالة، لأن كليهما أثر من آثار رحمة الله بعباده وبره بهم ونعمته عليهم، وآثاره لا تتناقض، فإن لم يتناقض من التناقض بين العقل والنقل، فلا بد أن يكون النقل غير صحيح أو العقل غير صريح، كما أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول)»[3].

وبهذه الوسطية الإسلامية الجامعة - التي طبعت المشروع الفكري للدكتور يوسف - كانت إبداعاته إسهاما كبيرا في إحياء علوم الدين، بإعادة اللحمة بين القلب والعقل، بين التصوف والشرع، بل بين السلفية والصوفية في علوم الإسلام.

---

(١) النور: ٣٥. ونص الراغب في كتابه بتحقيق د. أبو اليزيد العجمي ص ٢٠٧، طبعة دار الصحوة، القاهرة.

٢) (الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة) ص ١٠٦، ١٠٧.

(٣) (ثقافة الداعية) ص ١٢٩، طبعة بيروت سنة ١٤١٢هـ سنة ١٩٩١م.

فالفقه ، الذي تركه الدكتور يوسف ، هو « فقه » العبادة ، وليس فقط « علم » العبادة . فهدفنا من هذا التعليم والتفقه أن نحبب رب الناس إلى الناس حتى يعبدوه عبادة حب وشكر وإقبال ، لا عبادة مراسم وقلوب وأشكال ، أن نوجههم إلى روح العبادة ، لا صورة العبادة فحسب . وبعبارة أخرى أن يكون همنا « فقه » العبادة لا « علم » العبادة . والفقه معنى فوق العلم ، والتفقه أخص من التعليم . العلم يتعلق بالعقول والرءوس ، والفقه يتجاوز ذلك إلى القلوب والنفوس . والرسول ﷺ ، إنما ناط خير بالفقه في الدين لا بمجرد العلم الظاهري الجاف به . قال : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » . غير أن مفهوم الفقه هذا أصابه من التغيير ما جعل مؤداه مجرد العلم الجاف بتقصي التفريعات الظاهرة ، والأحكام الخلافية . وكثير من الفروض والمسائل الدقيقة التي تعد من الأغاليط أو من التنطع . إن فقه الصلاة مثلا ، هو إدراك سرها ، والنفوذ إلى لبها وروحها ، وعلم الصلاة هو المعرفة الجافة بشرائطها وأركانها وواجباتها ومستحباتها . والذي نريده بفقه العبادة إنما هو الفقه كما كان في العصر الأول . هو الفقه الذي يرقق القلوب ويطهر النفوس ، ويذكر بالآخرة ، ويضيء الطريق إلى الله »[2]

وكما دعا الدكتور يوسف بهذه الوسطية إلى تزامن العقل والنقل ، وامتزاج العقل والقلب . فلقد دعا إلى تزامن القلب والنص ، والمصالحة بين الصوفية والسلفية . « فمن خير أن نطعم

---

(١) رواه البخاري

(٢) العبادة في الإسلام) ص ٣٠١ - ٣٠٢ طبعة بيروت سنة ١٤١٣هـ سنة ١٩٩٣م

كل واحد من الصنفين أو الطرفين (السلفية والصوفية) - بالمراد التي عند الطرف الآخر، وهو ما عبر عنه المفكر المسلم محمد المبارك، رحمه الله، بقوله: «نُسلِّف الصوفية، ونُصَوِّف السلفية»! . وبهذا التطعيم ينشأ صنف جامع لمزايا الفئتين، منزه عن عيوب كل منهما. »[1]

وبذلك، وجدنا الدكتور يوسف يمتز في تراث التصوف بين فكر «الحلول» و«وحدة الوجود» - الذي رفضه - وبين التصوف الشرعي، الذي هو علم الخلق، ومرتبة الإحسان التي تبلغها أعمال المحسنين. «فالتصوف الفلسفي، القائم على فكره «الحلول» و«وحدة الوجود» كله مرفوض. والذي نعنيه من التصوف هو الجانب الأخلاقي والتربوي، الذي قال فيه ابن القيم - في المدارج): «اجتمعت كلمة الناطقين في هذا العلم على أن التصوف هو الخلق». فيجب أن ينتقى من التصوف ما يخدم العقيدة الإسلامية، والأخلاق الإسلامية، ويدع كل ما فيه شائبة أوربية. والصوفية الأوائل، الذين وضعوا أسس التصوف ومهدوا طريقه، رفضوا كل محاولة لإخراجه عن الشرع، وأبوا إلا تقييده بالقرآن والسنة. وفي التصوف لفتات روحية مشرقة في فهم الآيات والأحاديث. وفي أقوال أهله حرارة وحيوية يلمسها قارئها. فقد عنوا بأحكام الباطن، حين عنى الفقهاء بأحكام الظاهر المُحَسَّن، والمتكلمون بالجانب العقلي الجاف[2]. إن التصوف، باعتباره تراثاً في التربية والسلوك الإيماني، لا يمكن الاستغناء عنه، كما لا يمكن الاستغناء عن تراث الفقه في معرفة الأحكام الظاهرة. »[3].

---

(١) الحياة الربانية والعلم، ص ٢٢ طبعة القاهرة سنة ١٤٠٦هـ سنة ١٩٩٥م.

(٢) (ثقافة الداعية) ص ٩٥، ٩٦.

(٣) (الحياة الربانية والعلم) ص ١٥.

وبهذه الوسطية الإسلامية الجامعة بين العقل والنقل [illegible] العقل والنقل [illegible] بين السلفية والصوفية [illegible] الدكتور يوسف [illegible] الجمع بين السلفية والتجديد «فلا تنافي بين هذه السلفية والتجديد [illegible] فالسلفية الحقة لا تكون إلا مجددة، والتجديد الحق لا يكون إلا سلفيا» [illegible] ذلك أن التجديد هو العودة إلى المنابع [illegible] بعقل معاصر [illegible] السلفية المجددة التي [illegible] التجديد في [illegible] على امتداد تاريخ الإسلام

وانطلاقا من هذه الحقيقة من حقائق الوسطية الإسلامية الجامعة [illegible] الدكتور يوسف لأصول المنهج السلفي [illegible]

١ - الاحتكام للنصوص المعصومة لا لأقوال الرجال

٢ - ورد المتشابهات إلى المحكمات، والظنيات إلى القطعيات

٣ - وفهم الفروع والجزئيات في ضوء الأصول والكليات

٤ - والدعوة إلى الاجتهاد والتجديد، وذم الجمود والتقليد

٥ - والدعوة إلى الالتزام لا التسيب في مجال الأخلاق

٦ - والدعوة إلى التيسير لا التعسير في مجال الفقه

٧ - والدعوة إلى التبشير لا التنفير في مجال التوجيه

٨ - والدعوة بغرس اليقين لا بالجدل في مجال العقيدة

٩ - والعناية بالروح لا بالشكل في مجال العبادة

[illegible] الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة [illegible] طبعة بيروت سنة ١٤١٣هـ سنة ١٩٩٢م

١٠ - والدعوة إلى الاتباع في أصول الدين، والاختراع في أمور الدنيا [1].

وبهذه الوسطية، أيضا، تحيى «العلم» و«الدين» في ثقافة الإسلام. ويعبر الدكتور يوسف «فإن العلم عندنا دين، والدين عندنا علم» [2].

أما أن العلم عندنا دين، فإن كتاب ربنا وسنة نبينا، يدعوانا إلى العلم، ويعتبرانه عبادة وفريضة، سواء أكان علم دين أم علم دنيا، علما مصدره الوحي، أم علما مصدره الكون.

وأما أن الدين عندنا علم، فلأنه لا يقوم على التقليد، بل يحارب القرآن التقليد الأعمى والتبعية المطلقة للآخرين، وينادي كل ذي عقيدة أن تبني عقيدته على البرهان واليقين، لا على الظن والتخمين: «قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين» [3]، «قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون» [4].

وبهذه الحقيقة من حقائق علاقة الدين الإسلامي بالعلم، كانت العقلية الإسلامية «عقلية علمية موضوعية»: لا تقبل نتائج بلا مقدمات، ولا تخضع إلا للحجة والبرهان. وقد وضح القرآن والسنة المعالم الأساسية التي تقوم عليها هذه العقلية العلمية، ونستطيع أن نوجزها في النقاط التالية:

---

١ - المرجع السابق، ص ٥٣.
٢ - البقرة: ١١١.
٣ - الأنعام: ٤٨.
٤ - العقل والعلم في القرآن الكريم، ص ٩٦ - ٩٧.

١ ألا تقبل دعوى بغير دليل مهما كان قائلها، والدليل هو البرهان النظري في العقليات ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ والمشاهدة أو التجربة في الحسيات ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم﴾[2] وصحة الرواية وتوثيقها في النقليات ﴿ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين﴾[3]

٢ رفض الظن والعواطف والأهواء في كل موضع يطلب فيه اليقين الجازم والعلم الواثق ﴿وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا﴾[4] ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس﴾[5] «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»

٣ الثورة على الجمود والتقليد والتبعية الفكرية للآخرين ﴿بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون﴾[6] «لا يكن أحدكم إمعة، يقول: إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا ألا تظلموا»[7]

---

(١) النمل: ٦٤ (٢) الزخرف: ١٩
(٣) الأحقاف: ٤ (٤) النجم: ٢٨
(٥) النجم: ٢٣ (٦) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والإمام أحمد
(٧) البقرة: ١٧ (٨) رواه الترمذي

[illegible] الاهتمام بالنظر والتفكير والتأمل في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء، وفي الإنسان نفسه فهو عالم وحده، وفي أنفسكم فلا تبصرون، وفي [illegible] التاريخ البشري ومصير الأمم [illegible] في الاجتماع الإنساني «قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين»[3] [illegible][4]

تلك هي سمات العقلية الإسلامية العلمية، كما صاحبها الوسطية الإسلامية الجامعة بين العلم والدين.

وبالوسطية الإسلامية الجامعة، تتراءى «الرواية» و«الدراية» في مأثورات الثقافة الإسلامية: «فأقوم المناهج ما مزج بين الرواية والدراية، وجمع بين صحيح المنقول وصريح المعقول، وألف بين تراث السلف ومعارف الخلف»[5]. [illegible] الثنائية المفتعلة بين «الرأي» و«الأثر» في التعامل مع الموروث.

وإذا كانت الحداثة العربية، وهي المؤسسة على «التنوير العربي الوضعي العلماني»، إنما تقيم قطيعة معرفية مع الموروث، ومع الموروث الديني على وجه الخصوص، فإن الوسطية الإسلامية الجامعة تؤلف بين ما يسميه الدكتور يوسف «القديم النافع» و«الجديد الصالح» دون تعصب لأي منهما: «فقد شهد عصرنا

---

(1) الأعراف: ١٨٥. (2) الذاريات: ٢١.

(3) آل عمران: ١٣٧.

(4) «الرسول والعلم» ص ٣٨ - ٤٠ طبعة بيروت سنة ١٤١١هـ سنة ٩٩ م.

(5) المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة ص ٤ طبعة القاهرة سنة ٩٩٢.

صراع مرير بين القديم والجديد، تمخض عن فئات ثلاث من الناس

فئة تتشبث بالقديم كله، على ما فيه من شوائب وانحرافات

وفئة تنبت الجديد كله، بما فيه من نقائص وسيئات.

وفئة وقفت موقف الوسط، وقالت بتمسك بكل قديم نافع، وترحب بكل جديد صالح..»[1].

ثم يتحدث الدكتور يوسف عن منهجه الوسطي الجامع إزاء هذه الثنائية وعن موقعه بين فرقاء النزاع حول القديم والجديد، فيقول «لم أكن أقرأ الأقوال والنصوص قراءة المقلد المتحجر، بل قراءة الفاحص الممحص، الباحث عن الحق، لا يبالي أين وجده، ولا مع من وجده، قد يجده عند المتقدمين، وقد يجده عند المتأخرين، وقد يجده في مدرسة الرأي، وقد يجده في مدرسة الحديث، وقد يجده في فقه الظاهرية، وقد يجده في المذاهب الأربعة، وقد يجده عند غيرهم من الأئمة، وما أكثرهم

إنني لم أقف مع المتعصبين المتزمتين الجامدين على كل قديم، والزاعمين بأن لا أئمة بعد الأربعة، ولا اجتهاد بعد القرون الأولى، ولا علم إلا في كتب المتأخرين المقلدين، ومن عارضهم في ذلك اتهموه بكل نقيصة

ومع هذا، لم أكن لأنساق وراء أدعياء الاجتهاد الذين لم يملكوا وسائله، ودعاة التجديد الذين سخر منهم الرافعي الأديب بأنهم «يريدون أن يجددوا الدين واللغة والشمس والقمر»[2]

وإنما أقف موقفا وسطا عدلا أرحب بكل جديد نافع، وأحرص على كل قديم صالح وهكذا انتفعت بالقديم والجديد، دون تزمت ولا تحلل..»[2]

---

١) الفتوى بين الانضباط والتسيب ص ٦٣ طبعة القاهرة سنة ١٤١٣هـ سنة ١٩٩٢م

٢) (فقه الزكاة) جـ ١ ص ٢١، ٢٢ طبعة بيروت سنة ١٤٠٥هـ سنة ١٩٨٥م

ولهذا الموقف الوسطي الجامع، الذي ينتمي إلى الأمة، كل الأمة، ويحتضن تراثها كله، مختار منه الصالح والنافع، دون تعصب لمذهب أو فريق أو عصر أو إمام. توجه الدكتور يوسف بالنقد إلى:

المدرسة المذهبية التي تحصر الاجتهاد المعاصر في حدود مذهب لا تتعداه، فلا تأخذ من المذاهب الأخرى.

وإلى المدرسة الظاهرية الحديثة: مدرسة النصية الحرفية، وجلهم ممن اشتغلوا بالحديث، ولم يتمرسوا بالفقه وأصوله، ولم يطلعوا على اختلاف الفقهاء ومداركهم في الاستنباط، ولا يكادون يهتمون بمقاصد الشريعة وتعليل الأحكام، ورعاية المصالح، وتغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والحال.

ومدرسة تبرير الواقع

انتقد الدكتور يوسف هذه المدارس الثلاث، لأنها تجاب إما بتقديم وحدة، أو الحديث دون سواه، إما بالأثر وحده، أو بالرأي لا تتعداه. ودعا إلى المدرسة الرابعة:

«مدرسة الوسط، والاتجاه المتوازن، الذي يجمع بين اتباع النصوص ورعاية مقاصد الشريعة، فلا يعارض الكلي بالجزئي، ولا القطعي بالظني، ويراعي مصالح البشر، بشرط ألا تعارض نصا صحيح الثبوت، صريح الدلالة، ولا قاعدة شرعية مجمعا عليها، فهو يجمع بين محكمات الشرع ومقتضيات العصر»

* * *

(١) الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط، ص ٨٨، طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م

وهذه الوسطية الإسلامية الجامعة ، التي مثلت معلماً من معالم المشروع الفكري للدكتور يوسف القرضاوي ، وروحاً سارية في كل المواقف والقضايا والمشكلات التي عرض لها بالبحث والرأي والإفتاء ، قد استصحبها الرجل في فقهه للواقع كما اعتمدها في فقهه للأحكام . فرأيناه ينظر بمنظاره إلى قضية موقف الإسلام من ملكية الثروات والأموال ، ذلك الموقف الذي لم يتحيز إلى ملكية الفردية بإطلاق ، ولا ضدها بإطلاق ، وإنما جمع - انطلاقاً من فلسفته الاجتماعية المتميزة - بين الملكية الخاصة والملكية العامة في الثروات والأموال . « فالإسلام لا يحمي كل ملكية ولو جاءت من طريق حرام ، وإنما يبسط حمايته على الملكية التي جاءت من طريق مشروع . كما يقر الملكية الجماعية في الأشياء الضرورية جميع الناس . ومن هنا أخرج الإسلام من نطاق الملكية الخاصة الأشياء التي لا يتوقف وجودها ولا الانتفاع بها على مجهود خاص ، ويكون جماهير الناس محتاجين إليها ، فجعل ملكيتها جماعية عامة ، حتى لا يستبد بها فرد أو أفراد ، فيصار المجتمع من جراء ذلك .

إن الحرية الاقتصادية المطلقة أو شبه المطلقة التي يحبذها الرأسماليون - كالمساواة الاقتصادية المطلقة التي يحلم بها الشيوعيون - كلتاهما ليست قضية محمودة ، بل رذيلة ممقوتة . ولهذا ، فإن الإسلام حين أتاح للإنسان حرية التملك لم يدع له الحبل على الغارب ، بل وضع حدود للكسب والتملك ، وحدود للتصرف في الملك ، تثميراً أو استهلاكاً ، وفرض حقوقاً

معينة على المال المملوك إذا بلغ نصاب مقدر، وحقوق أخرى يعينها ألو الأمر أو يحددها الضرورات والحاجات. فقيد الإسلام من جموح الحرية الاقتصادية بما وضع من حدود وما فرض من حقوق، وما ألزم من قيود، أحل بها الحلال وحرم الحرام.

إنها حرية اقتصادية مقيدة بالعدل الذي فرضه الله، وليست مطلقة كالتي توهمها قوم شعيب (أن نفعل في أموالنا ما نشاء)[1]...[2].

* * *

هكذا مثلت الوسطية الإسلامية الجامعة واحدة من أهم القضايا، ومعلما من أبرز المعالم، وقسمة من أخطر القسمات في المشروع الفكري لعالمنا الفاضل الدكتور يوسف القرضاوي. فضمنت لهذا المشروع الجمع بين السلفية في الدين، تلك التي تنطلق من المنابع الجوهرية والنقية للمرجعية الإسلامية، وبين التجديد لهذا الدين، بالعقلانية الإسلامية المؤمنة التي تفقه الأحكام وتفقه الواقع المتجدد، وتعقد القران بين فقه الواقع وفقه الأحكام لتحقق المصالح الشرعية المعتبرة، وتستشرف مستقبل المنشور لأمة الإسلام، ففيها وبها تجتمع وتتوازن الأصالة المتميزة والمعاصرة المتميزة والمستقبلية المتميزة جميعا!

* * *

هود ٨٧

٢ (دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي) ص ١٤ ١١٨ ٣٥ طبعة القاهرة سنة ١٤١٥هـ سنة ١٩٩٥م

في الإسلام [illegible] موقف من [illegible] حقا من حقوق [illegible] إلى حيث يجعل الإسلام [illegible] فريضة شرعية [illegible] الأمة الإسلام [illegible] فروض الكفاية [illegible] التي توجه [illegible] الأمة [illegible] الأمة [illegible] فرضت في [illegible] إقامتها .. وبذلك ، كانت هذه الفروض الكفائية الاجتماعية - أخطر وأكبر من فروض العين - الفردية - التي يقف الإثم على [illegible] المكلف لا [illegible] [illegible] كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة [illegible] في [illegible] [illegible] قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾

ويزيد من خطر الاجتهاد في الإسلام أنه هو طوق نجاة الشريعة الإسلامية من أن تتجاوز الواقع المتطور والمتغير أحكامها [illegible] صفحتها من الوجود ، [illegible] إلى [illegible] تاريخي [illegible] متحفي [illegible] فلأن هذه الشريعة هي خاتمة شرائع السماء إلى الإنسان [illegible] وقوفها في التشريع - وخاصة المعاملات [illegible] عند المبادئ والقواعد والكليات وفلسفة التشريع [illegible] هو قابل للتطور والتغير ، عبر الزمان والمكان والأحوال مع التقصير في أحكام الثوابت التي تمثل ثوابت الفطرة وجوهر الهوية لدى الإنسان [illegible] دائما وأبدا [illegible] الأمر الذي جعل الاجتهاد الإسلامي هو [illegible]

[illegible] ٢٢

لمد فروع الشريعة كي تظل كل جديد، على النحو الذي يضمن إسلامية الفقه والقانون دائماً وأبداً، ويحقق صلاحية الشريعة التي هي وضع إلهي ثابت لكل زمان ومكان وحال. فبدون هذا الاجتهاد، الذي يصنع الفقه المتجدد بالصنعة الإلهية، تظل علينا خطر انفلات القانون والفقه من هذه الصنعة الإلهية المتمثلة في مبادئ وقواعد الشريعة وفلسفتها في التشريع. فهو الاجتهاد، الضمان لخلود الشريعة الإسلامية، ولتحقيق الإرادة الإلهية في أن تكون الشريعة خاتمة، في الأمة خاتمة، للرسالة الخاتمة، رسالة سيدنا محمد، عليه الصلاة والسلام.

ولذلك لم يكن غريباً أن نرى الاهتمام بقضية الاجتهاد الإسلامي، إحياءً له، وتركيزاً لطريقه، وضبطاً لصناعته في المشروع الفكري للدكتور يوسف، وهو المشروع الذي يعني إحياء الإسلام لتحيا به الأمة الإسلامية.

ففي مواجهة الذين يحيلون للاجتهاد «باب» قد تم إغلاقه يقول الدكتور يوسف: «إن القول بأن باب الاجتهاد قد أغلق مقولة يكذبها المنقول والمعقول والتاريخ والواقع. ومن ذا الذي يملك إغلاق باب فتحه الله ورسوله»[1]؟!

ولذلك، فإن القضية ليست الدعوة إلى فتح «باب» مغلق وإنما هي «تجديد الاجتهاد» ليكون قادراً بثمراته الجديدة وأحكامه المتجددة على الوفاء بتحقيق المصالح الشرعية للأمة في ميادين المستجدات التي طرحها وتطرحها جديد الزمان والمكان والحال.

---

(١) (الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط) ص ١٩

وعن شروط تحقيق هذه «الضرورة» ضرورة تجديد الاجتهاد» يقول الدكتور يوسف: «إن أول الشروط اللازمة حسن تطبيق الشريعة في عصرنا، وأعظمها أهمية: هو فتح باب الاجتهاد من جديد للقادرين عليه، والعودة إلى ما كان عليه سلف الأمة، والتحرر من الالتزام المذهبي المتشدد، فيما يتعلق بالتشريع للمجتمع كله. إن باب الاجتهاد قد فتحه النبي ﷺ، فلا يملك أحد أن يغلقه..»[1]

وإذا كان تراثنا الفقهي قد فصّل القول في شروط الاجتهاد ومبادئه، وأنواعه ومراتبه، فإن الدكتور يوسف يدعو إلى كل ألوان ومستويات الاجتهاد، ففي المستجدات التي لم يعرفها السابقون، ومن ثم لم تعرض لها المذاهب والاجتهادات الموروثة، نحن في حاجة إلى «الاجتهاد الإنشائي» الذي يستنبط الأحكام الجديدة من المصادر الأصلية، والمتصلة بالأصلية، للشريعة الإسلامية. وفي الميادين التي يبنى حاجاتنا فيها «الاجتهاد الانتقائي» الذي يختار من الاجتهادات السابقة بعد المقارنة والترجيح، يكون الطريق هو هذا «الاجتهاد الانتقائي». وقد يحتاج الأمر في ميادين أخرى إلى الجمع بين «الانتقاء» و«الإنشاء» في الاجتهاد الجديد والمعاصر.

يتحدث الدكتور يوسف عن هذه القضية فيقول: «إن الاجتهاد المطلوب لعصرنا هو

---

(١) (مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية) ص ٢٧٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠م

١ - الاجتهاد الانتقائي : ويعني به اختيار أحد الآراء المنقولة في تراثنا الفقهي، للفتوى أو القضاء به، ترجيحاً له على غيره من الآراء والأقوال الأخرى، بعد الموازنة بين الأقوال بعضها وبعض، وتراجع ما استندت إليه من أدلة نصية أو اجتهادية، ليختار في النهاية ما يراه أقوى حجة وأرجح دليلاً، وفق معايير الترجيح، ومنها أن يكون القول أليق بأهل زماننا، وأرفق بالناس، وأقرب إلى يسر الشريعة، وأولى بتحقيق مقاصد الشرع، ومصالح الخلق، ودرء المفاسد عنهم.

٢ - الاجتهاد الإنشائي : ويعني به استنباط حكم جديد في مسألة من المسائل، لم يقل به أحد من السابقين، سواء كانت المسألة قديمة أم جديدة، وأكثر ما يكون الاجتهاد الإنشائي في المسائل الجديدة، التي لم يعرفها السابقون ولم تكن في أزمانهم، أو عرفوها في صورة مصغرة، بحيث لا تكون مشكلة ولا تدفع الفقيه إلى البحث عن حل لها باجتهاد جديد.

٣ - الاجتهاد الجامع بين الانتقاء والإنشاء : ومن الاجتهاد المعاصر ما يجمع بين الانتقاء والإنشاء معاً، فهو يختار من أقوال القدماء ما يراه أوفق وأرجح، ويضيف إليه عناصر اجتهادية جديدة »[1].

---

(١) الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط، ص ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٦.

وإذا كان هذا هو موقف الدكتور يوسف من قضية الإحياء المعاصر للاجتهاد الإسلامي، فإن ممارسته الفكرية، كما تجسدت في مشروعه الفكري، قد جاءت ثمرة لهذا الموقف الاجتهادي، في القضايا التي عرض لها وكتب فيها، فهو عالم رفض التقليد، ومارس الاجتهاد، ولم يقف، فقط، عند الإدانة القولية للتقليد، أو التركية النظرية للاجتهاد، فهو يقول: «أنا لا أحسن التقليد، ولم أحاول في حياتي أن أكون نسخة من أحد» ثم يؤكد على مذهبه «الوسطي» المنضبط في هذا الأمر، فيقول: «إنني ضد الجمود والتقليد والتعصب، ولكنني - بنفس القدر - ضد الانفراط والتحلل والتسيب، إن الذي أؤمن به، وأدعو إليه، وأدافع عنه، هو المنهج الوسط للأمة الوسط، هو الاجتهاد بكل أنواعه ودرجاته، كليا وجزئيا، فرديا وجماعيا، ترجيحيا وإنشائيا، بشرط أن يصدر من أهله في محله، منضبطا بضوابطه الشرعية المعتبرة، بعيدا عن غلو الغالين، وتفريط المفرطين»[2].

وانطلاقا من هذا المنهج، وتطبيقا له، جاء المشروع الفكري للدكتور يوسف في الفقه، والدعوة واحد من مشاريع الاجتهاد والتجديد في ثقافتنا الإسلامية المعاصرة.

* * *

(تفسير سورة الرعد) ص ١٣ طبعة طنطا - مصر - سنة ١٤١٦هـ سنة ١٩٩٦م

(٢) (الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط) ص ٤

القرآن هو كلمة الوحي الإلهي الخاتمة إلى الإنسانية المستخلفة لتقيم دين الله الواحد، وتستعمر الأرض وفق شريعة الله ولهذا الوحي الإلهي خاتم مكانة مرجعية محورية في دنيا المسلمين وآخرتهم فمن بين سوره وآياته ولدت وتبلورت الأمة وجوامعها الموحدة لها العقيدة والشريعة بما فيها من عبادات، ومعاملات، وقيم وأخلاق والصبغة الإلهية للحضارة الإسلامية ووحدة الأمة ووحدة الدار وبإقامة هذه الجوامع يتحقق انتماء الأمة إلى الإسلام - أعظم نعم الله على المسلمين وتتحقق إسلامية العمران الإسلامي ويتعلق المسلمون بأسباب السعادة في الدار الآخرة، التي هي خير وأبقى

وفي كل قضايا ومفردات، بل وصفحات المشروع الفكري للدكتور يوسف القرضاوي تتصدر آيات القرآن الكريم في كل مواطن الاستدلال والاستشهاد تليها أحاديث السنة النبوية الشريفة الأمر الذي يجعل للقرآن مكان ومكانة مرجعية محورية في هذا المشروع

وفوق ذلك، فلقد نبه الرجل على المنهاج الذي اختاره - وأشجه - للتعامل مع القرآن الكريم

فهو يدعو «من يريد فهم القرآن أن يقرأه على أنه كتاب الزمن كله، وكتاب الحياة كلها، وكتاب الإنسان كله، وكتاب الناس كلهم، وكتاب الحقيقة كلها»

ويدعو من يريد تفسير القرآن أن يتمكن من أدوات التفسير وآليات الفهم، اللغة وما يتعلق بها وبعلومها، وعلوم السنة النبوية، ثم يلتزم قواعد تفسير القرآن.

وأولى هذه القواعد أن خير ما يفسر القرآن هو القرآن، فما أجمل في مكان يجد تفسيره وتفصيله في مكان آخر، وما كان عاما في موضع يخصصه موضع آخر، وما كان مطلقا في آية قد تقيده آية أخرى.

ومع تفسير القرآن بالقرآن، لابد أن يؤيد ذلك بالسنة، يلجأ إليها إذا لم يكن الأمر واضحا في القرآن، فهي أمينة القرآن وشارحته، وهي التفسير النظري والتطبيق العملي لكتاب الله عز وجل: ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ وينبغي أن نحذر من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والواهية، مما يذكر أحيانا في كتب التفسير بالمأثور، وفي كتب الرقائق، وكتب الترغيب والترهيب.

فإن لم نجد في السنة ما يبين القرآن، فهناك الصحابة، رضوان الله عليهم، فإذا ورد عنهم شيء فلابد أن نستقبله بصدر رحب، فهم الذين شاهدوا التنزيل، وأسباب النزول، وما صح منه قليل.

وإذا اختلف الصحابة، أمكن لنا أن نرجح قول بعضهم على بعض بمرجحات مختلفة... فهم يتفاوتون

---

(١) النحل: ٤٤

وإذا لم نجد عند الصحابة، نرجع إلى التابعين، بلا مثل الصحابة، فإذا أجمعوا كان إجماعهم حجة، وإذا اختلفوا كان لنا أن نأخذ بقول من شئنا منهم بأساليب الترجيح المختلفة.

فإذا لم نجد عند الصحابة والتابعين ما يفسر القرآن، نفسره بمقتضى اللغة والسياق[1].

فهذا منهج تعامل الدكتور يوسف مع القرآن الكريم، الذي هو «روح الوجود الإسلامي، وأساس بنيانه»[2].

* * *

● منهج التعامل مع السنة النبوية الشريفة

وكما دعا الدكتور يوسف في منهج التعامل مع القرآن الكريم إلى اعتماد السنة، باعتبارها البيان النبوي للبلاغ القرآني، فقد دعا في منهج التعامل مع السنة النبوية إلى فهمها في ضوء القرآن الكريم: «فالواجب أن نفهم السنة، بعد تحقيق صحة الرواية، في ضوء القرآن الكريم، وفي دائرة توجيهاته الربانية. فالقرآن هو روح الوجود الإسلامي، وأساس بنيانه، وهو بمثابة الدستور الأصلي، الذي ترجع إليه كل القوانين في الإسلام، فهو أبوها وموئلها. والسنة النبوية هي شارحة هذا الدستور ومفصلته، فهي البيان النظري والتطبيق العملي للقرآن، ومهمة الرسول أن يبين للناس ما نزل إليهم. وما كان

(مسير منور الرعد) ص ٤٢، ٤٥، ٥٠، ٢٣، ٣١ - ٣٨.

٢) (كيف نتعامل مع السنة) ص ٩٣

لبيان أن يناقض الشيء، ولا الفرع أن يعارض الأصل، فالبيان النبوي يدور أبدا في فلك الكتاب العزيز لا يبعده»[1]

وغير مرجعية الدين وضوابطه ودورها ومكانتها في فهم السنة النبوية والتعامل معها، يدعو الدكتور يوسف إلى فهم الأحاديث في ضوء أسباب ورودها وملابسات قولها أو فعلها أو إقرارها، وكذلك في ضوء مقاصدها، كما يدعو إلى التمييز في فهم السنة والتعامل معها، بين المقاصد والأهداف الثابتة، وبين الوسائل المتغيرة، من مثل مقاصد التداوي والتعافي والاستشفاء» ووسائل «الأدوية» التي ورد ذكرها فيما يسمى بالطب النبوي، مثلا، ومن مثل مقصد «رؤية الهلال» و«وسائل هذه الرؤية»، فالمقاصد ثوابت، بينما الوسائل متغيرات.

وفي الخلاف الشهير حول الموقف من أحاديث الآحاد، والتي اتفق العلماء على أنها ظنية الثبوت، وعلى الأخذ بها في الأمور العملية، دون العقائد، التي رأى الجمهور قصر مرجعيتها على ما هو قطعي الثبوت - في هذا الخلاف، الذي يجعل منه البعض معركة كبرى، بل ومبرر للتكفير والتبديع والتفسيق، يرى الدكتور يوسف «أن من أنكر حديثا من أحاديث الآحاد، قامت شبهة في نفسه حول ثبوته ونسبته إلى النبي ﷺ، لا يخرج بذلك من الدين، لأن الذي يخرج منه إنكار ما كان منه بيقين لا ريب فيه، ولا خلاف معه، أي القطعي الذي يسميه العلماء «المعلوم من الدين بالضرورة»..»[2]

---

(١) المرجع السابق، ص ٩٣، ١٢٥، ١٣٧، ١٣٩، ١٥٤

٢ فتاوى معاصرة، ج ١، ص ١٠٥ ٦ طبعة الكويت سنة ٤١٦ هـ سنة ١٩٩٦ م

فرد حديث الآحاد ليس رد للسنة النبوية، لأن الخلاف في أمره إنما هو حول «الرواية»، وليس حول مصدر السنة، صلوات الله وسلامه عليه، والعصمة إنما هي للرسول، وليست للرواة!

بهذا المنهج تعامل الدكتور يوسف مع السنة النبوية، فاحتلت مكانا في استدلالاته واستشهاداته في كل صفحات مشروعه الفكري، وذلك فضلا عن الأعمال الفكرية العديدة التي خصصها خدمة السنة. فالرجل يكن للمقاييس وحدها من الشيوخ المهرة في محيطات المأثورات، حباه الله ملكة نافذة في علوم الرواية والدراية على حد سواء.

* * *

● التجديد للفقه الإسلامي

في المشروع الفكري للدكتور يوسف القرضاوي، وحيثما كان الميدان الذي يكتب فيه، يمزج «الفقه» بـ «الدعوة»، فالرجل «داعية - فقيه»... وبذلك، فإن «الفقه» عنده لا يقف داخل الإطار الذي حكم صورته عند الفقهاء القدماء، وإنما يمتد ويسري أحكامه وضوابطه في الباب «الدعوة» ومستويات خطابها، المصممة - في مشروع الدكتور يوسف - تربية وتوعية وتثقيف جمهور الصحوة الإسلامية المعاصرة، وقيادات الحركات الإسلامية فيها، وأيضا محاورة المفكرين والعلماء الإسلاميين كانوا أم غير إسلاميين. فهو يرى «أن عصرنا أحوج ما يكون إلى المزج بين الفقه والدعوة، بحيث يكون الداعية فقيها، والفقيه داعية. فلن يجدد الدين في عقول الأمة وضمائرها إلا

الداعية الذي يحمل عقل الفقيه، والفقيه الذي يحمل روح الداعية..»[1].

وبذلك، وجدنا الفقه الذي كتب فيه وعنه ودعا إلى إشاعته لا يقف عند حدود الفقه القديم، بل لقد تحدث عن ثمانية ميادين أو فنون للفقه الذي رآه ورآها ضرورية لتجديد الفقه الإسلامي كي يلبي حاجات العصر الذي نعيش فيه، والمستقبل الذي نتطلع إليه.

تحدث عن:

١ ـ فقه المقاصد.

٢ ـ وفقه السنن الإلهية في الاجتماع البشري والعمران الإنساني.

٣ ـ وفقه الواقع المعيش، على اختلاف ميادينه.

٤ ـ وفقه الحضارة، الحضارة الإسلامية، وفي علاقاتها بغيرها من الحضارات.

٥ ـ وفقه الأولويات ومراتب الأعمال.

٦ ـ وفقه الموازنات بين المصالح والمفاسد.

٧ ـ وفقه الاختلاف بين المذاهب والعلماء والحركات.

٨ ـ وفقه المستقبل، الذي عدّ علماً يتخصص فيه علماء المستقبليات في عالمنا المعاصر.

---

١ ـ المرجع السابق، جـ ٢، ص ١.

٩ - وفقه مكارم الشريعة، وحكم القيم والأخلاق

نعم [illegible] مفهوم الفقه [illegible] في [illegible] يشمل فقه هذه [illegible] وقد أكد على هذه حقيقته عندما كتب فقال: [illegible] يكون إلى أنواع من [illegible] ينبغي التركيز عليها، وهي:

١ - فقه المقاصد: الذي لا يقف عند جزئيات الشريعة ومفرداتها [illegible] في كل [illegible] حياة [illegible] الشاطبي [illegible] الإمام الشاطبي في [illegible] وإبراز العناية بالمقاصد الاجتماعية خاصة.

٢ - وفقه السنن: أي القوانين الكونية والاجتماعية التي أقام الله عليها [illegible] وقضى بأنها لا تتبدل ولا تتحول، مثل سنن التيسير والنصر والتدرج [illegible] وغيرها من سنن التقدم والرقي أو التخلف والانحطاط.

٣ - وفقه الواقع: فإن من حصّل كثيرًا من العلم ووسائل الاجتهاد، ولكنه يعيش في برج عاجي، أو صومعة منعزلة، غافلًا عن مصالح المجتمع ومفاسده، وما يدور في العقول من أفكار، وفي الأنفس من نوازع، وفي الحياة من وقائع وتيارات [illegible] مثل هذا مع علمه - لا يعد من أهل الاجتهاد والفتيا والحكم في شريعة الإسلام.

٤ - والفقه الحضاري: الشامل لفقه المعرفة والعلم، الضابط لقواعد النظر [illegible] والخاص بالسلوك الحضاري

٥ ـ وفقه الأولويات ومراتب الأعمال، الذي يضع كل شيء في مرتبته، فلا يؤخر ما حقه التقديم، ولا يقدم ما حقه التأخير، ولا يصغّر أمر الكبير، ولا يكبّر أمر الصغير، فهذا ما تقضي به قوانين الكون، وما تأمر به أحكام الشرع. ومن فقه الأولويات: تقديم الكيف والنوع على الكم والحجم، وأولوية علم الدراية على علم الرواية، وأولوية الفهم والفقه على مجرد الاستيعاب والحفظ، وأولوية المقاصد على الظواهر، وأولوية الاجتهاد والتجديد على النكر والتقليد، وأولوية الدراسة والتخطيط لأمور الدنيا قبل العزم والتنفيذ، وأولوية التخفيف والتيسير على التشديد والتعسير. ومن ذلك اتباع سنة التدرج في سياسة الناس عندما يراد تطبيق نظام الإسلام في حياة اليوم، بعد عصر الغزو الثقافي والتشريعي والاجتماعي للحياة الإسلامية، وذلك بالإعداد والتهيئة الفكرية والنفسية والأخلاقية والاجتماعية، وإيجاد البدائل الشرعية للأوضاع المحرمة التي قامت عليها مؤسسات عدة لأزمنة طويلة، وأولوية الأصول على الفروع، وأولوية الفرائض على السنن والنوافل، وأولوية حقوق العباد على حق الله المجرد، وأولوية حقوق الجماعة على حقوق الأفراد، وأولوية الولاء للجماعة والأمة على القبيلة والفرد، والعناية ببناء الفرد قبل بناء المجتمع، أو تغيير الأنفس قبل تغيير الأنظمة والمؤسسات، والتربية قبل الجهاد، وتقديم العناية بالتربية والإعلام على تطبيق الجانب القانوني من الشريعة، ولا سيما في العقوبات

وتقديم الهموم الكبرى - مثل هم التخلف العلمي والتكنولوجي، وهم النظام الاجتماعي والاقتصادي، وهم الاستبداد والتسلط السياسي، وهم التغريب والغزو الفكري والثقافي، وهم العدوان والاغتصاب الصهيوني، وهم التجزئة والتمزق العربي الإسلامي، وهم التسيب والانحلال الأخلاقي - تقديم هذه الهموم الكبرى على فروع الفقه وهو مثل العقيدة، التي اختلف فيها السابقون، وتنازع فيها اللاحقون، ولا أمل أن يتفق عليها المعاصرون.

٦ - وفقه الموازنة بين المصالح والمفاسد - وهو مبني على فقه الواقع، ودراسته دراسة علمية مبنية على ما يسّره لنا عصرنا من معلومات وإمكانات لم يكن يحلم بها بشر، سواء واقعنا أو واقع الآخرين، بعيدا عن التهويل والتهويل.

٧ - وفقه الاختلاف - الذي عرفه خير قرون الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى، فلم يضرهم الاختلاف العلمي شيئا، وجهلناه فأصبحنا نعادي بعضنا بعضا، بسبب مسائل يسيرة، أو بغير سبب!!

٨ - وفقه المستقبل - فنحن نريد فكرا مستقبليا يرنو دائما إلى الغد، ولا ينحصر في الحاضر، فهذا هو منطق الإسلام في قرآنه وسنة نبيه ﷺ، فالمتدبر للقرآن الكريم يجده منذ العهد المكي، يوجه أنظار المسلمين إلى الغد المأمون، والمستقبل المرتجى، ويبين لهم أن الفلك تتحرك، والعالم يتغير، والأحوال تتحول، فالمهزوم قد ينتصر، والمنتصر قد

بهم ، وتضعيف قدرتهم وتدميرهم ، سواء كان ذلك على المستوى المحلى أم العالمى .

٩ - وفقه مكارم الشريعة : الذى لا يقف عند الأحكام وتفاصيلها ، بل يحاول الوصول إلى مكامن الحكمة والغاية من كل حكم من أجل القيم والأخلاق . [1]

هكذا يسعى الفقه المرجو لهذه المرحلة الحرجة من مسيرة الفكر الإسلامى المعاصر ، وهكذا يتطلع المفكرون المخلصون لأمتهم إلى ظهور هذا الفقه الذى يعبر عن الإسلام الصحيح ، ويخاطب العقل المعاصر ، ويحقق للأمة «فكر الجماعة» الذى يخرج الأمة من مأزق الخصام الفكرى الذى تردت فيه ، والذى يأخذ منها بالخناق .

فالفقه فى هذا المشروع الفكرى ليس «الفقه» السلفى الذى لا اجتهاد فيه ولا إبداع ، ولا يقف عند حدود ما دونه الأقدمون فى عصور ازدهار الفقه ، وهو الذى يختلف تماما عن ذلك الفقه الذى يحجر على الفكر الإسلامى ويحوله إلى فكر أحادى الجانب ، ويحوله إلى فكر انطوائى يقف عند حدود

---

١ - الصحوة الإسلامية : ص ٧٨ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ .

النصوص - ومن الفكر الخارجي الذي يجمع إلى الإخلاص والشجاعة العنف وضيق الأفق ومن الفكر التقليدي أسير المذهبية الضيقة - إلى فكر العاقبة، وفقه السنن، وفقه المقاصد، وفقه الموازنات وفقه الأولويات فكر تحرير الأرض الإسلامية والانتصار لكل قضايا تحرر مطلق الإنسان المستضعف فكر الانتصار للأقليات المسلمة المكونة لربع الأمة الإسلامية فكر الحرية السياسية، والديمقراطية الملتزمة بالأصول القطعية للإسلام فكر إنصاف الأقليات غير المسلمة، كجزء من الأمة والدولة الإسلامية فكر الحوار مع الآخرين بمن فيهم عقلاء العلمانيين وعقلاء الحكام وعقلاء الغرب، والمستشرقين فكر الحوار الديني الذي يكتشف الأرض المشتركة بين المتدينين ضد المادية والإلحاد.. »[1]

تلك هي الآفاق الفكرية والحضارية المتجددة وإحياء الفقه الإسلامي، في هذا المشروع الفكري.

* * *

● الإفتاء الإسلامي المعاصر

وكما كان « الفقه » عند الدكتور يوسف هو « فقه الدعوة »، الذي هو عدة « الداعية الفقيه » كذلك كان « الإفتاء » في مشروعه الفكري. وهو معلم متميز ومحوري في هذا المشروع. فهو ليس إفتاء تقليدي يقف عند الإجابة على السؤال، وإنما هو دعوة

(١) (آيات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة) ص ١٢٧ - ٨٨

وتثقيف مؤسسات على الفقه المنضبط ، يستهدف الإسهام في دفع الشبهات عن أحكام الإسلام ، وضبط حياة المسلمين بضوابط الإسلام ومعاييره . وعن منهج الدكتور يوسف هذا في « فقه الدعوة » يقول الرجل : « أرى الفتوى عندي نوع من الدعوة ، فهي تتضمن إلى بيان الحكم الشرعي ، من الوجوب والاستحباب أو الكراهية أو الحرمة أو الإباحة ، ما لا بد منه من تصحيح المفاهيم ، وبيان الحقائق ، ورد الأباطيل ، ودفع الشبهات ، وتوضيح الحكم والأسرار ، حرصاً على إضاءة العقول وإحياء القلوب ، وترشيد المسيرة ، وإنصاف الإسلام المظلوم المفترى عليه والمضيع ، بين عباد أبنائه ، ومكر أعدائه وحمق أصدقائه ، وعجز علمائه ، وفساد أمرائه » .

وكان أسلوب « الدكتور يوسف مناسباً وخادماً لهذا الأفق الأوسع التي جعلها مقاصداً في هذا الميدان ، فعنده « أن الأسلوب الناجح ، هو الجامع بين السهولة والدقة ، هو الذي يجمع دقة العالم إلى وضوح الداعية[2] . والعصر أحوج ما يكون إلى المزج بين الفقه والدعوة ، بحيث يكون الداعية فقيهاً والفقيه داعية ، فلن يجدد الدين في عقول الأمة وضمائرها إلا الداعية الذي يحمل عقل الفقيه ، والفقيه الذي يحمل روح الداعية »[3] .

---

(1) (فتاوى معاصرة) جـ ٢ ص ١١

(2) (فقه الزكاة) جـ ١ ص ٣٥

(3) (فتاوى معاصرة) جـ ٢ ص ١١

أما منهجه في الإفتاء، فقد جمع بين التحرر من جمود المذهبي، وبين الالتزام الأصولي، وبين اختيار الأيسر من الأصول، وهو قد صاغ هذا المنهج وتحدث عن معالمه الستة التي هي:

أولاً: التحرر من العصبية المذهبية، والتقليد الأعمى، مع التوقير لأئمتنا وفقهائنا، وذلك بتقييد لوصاياهم بألا نقلدهم ولا نقلد غيرهم، ونأخذ من حيث أخذوا.

ثانياً: تغليب روح التيسير والتخفيف على التشديد والتعسير، يُسْرُ الفروع حين أُشدِّدُ في الأصول، وذلك في ضوء النصوص والقواعد العامة للإسلام، فلا أصادم نصاً ثابتاً محكماً، ولا قاعدة شرعية قاطعة.

ثالثاً: أن أخاطب الناس بلغة عصرهم التي يفهمون، من عند خصائص التفكير، وطرائق الفهم والإفهام، فيخاطب العقول بالمنطق، وتدع التكلف في استخدام العبارات والأساليب، وذكر حكم مقرون بحكمته وعلته، مربوط بالفلسفة العامة للإسلام.

رابعاً: الإعراض عما لا ينفع الناس، فلا أشغل نفسي ولا جمهوري إلا بما ينفع الناس ويحتاجون إليه في واقع حياتهم.

خامساً: الاعتدال بين المتحللين والمتزمتين، بالتزام روح التوسط والاعتدال بين التفريط والإفراط.

سادساً: إعطاء الفتوى حقها من الشرح والإيضاح، لأني أعتبر نفسي عند إجابة السائلين: مفتياً، ومعلماً، ومصلحاً، وطبيباً

ومرشد ... وهذا يقتضي أن أبسط بعض الإجابات وأوسعها شرحاً وتحليلاً ... يجب أن يكون الفقيه المفتي مع سائليه كالطبيب المفتي مع مرضاه، لابد أن يثقوا به ويستريحوا إليه ويفضوا إليه بذات أنفسهم، ومكنون ما في صدورهم ... يجب أن يكون أبا لصغيرهم، وأخا لكبيرهم، وصديقاً لجميعهم، لا «شرطياً» يريد أن يضبطهم متلبسين، ولا «ممثل اتهام» يطلب لهم أقصى العقوبة» !

هكذا، عدت الفتوى في مشروع الفكري للدكتور يوسف القرضاوي إسهاماً في تجديد الفكر الإسلامي، لا بالنسبة للمستفتين وحدهم، وإنما لجمهور الأمة وطلائع الصحوة الإسلامية المعاصرة ... ففتاواه مادة «ثقافة إسلامية» للكافة حتى وإن لم يكونوا سائلين ولا مستفتين

* * *

● الثقافة العربية الإسلامية

وكما ميزت الوسطية الإسلامية جامعة مجمل مواقف الدكتور يوسف الفكرية ومفردات مشروعه الفكري ... ميزت كذلك موقفه من ثقافة أمتنا ... فلا تناقض في هذه الثقافة بين العروبة والإسلام، بل هي جامعة بينهما ... ولا مقابلة فيها، فضلاً عن التناقض والعداء بين العلم والدين، وإنما هي جامعة بينهما

---

١) المرجع السابق، ج ١ ص ١٠، ١١، ١٤، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٥، ٣٠ وانظر كذلك: الفتوى بين الانضباط والتسيب) ص ٠٧

ولا مكان فيها لصدام الأصالة والمعاصرة، وإنما هي قائمة على [illegible] جميعاً. ولا مجال فيها لخلاف بين الخصوصية والعالمية، لأنها إنسانية، جامعة للتعبير عن «إنسانية» منتمية للإنسانية الواحدة.

وبعبارة الدكتور يوسف فإن «ثقافتنا» عربية إسلامية مكوناتها:

١ - الإسلام

٢ - واللغة العربية.

وخصائصها:

١ - ربانية ٢ - والأخلاقية ٣ - والإنسانية ٤ - والعالمية

٥ - والتسامح ٦ - والتنوع ٧ - والوسطية ٨ - والتكامل

وبذلك، فلا تناقض في ثقافتنا بين العروبة والإسلام، ولا صراع فيها بين العلم والدين، فالعلم عندنا دين، والدين عندنا علم، والعلم سبيل الإيمان، والإيمان ملاك العلم، ولهذا يجب أن نعمل على تكوين العقلية العلمية، وإحياء معاني الإيمان، وتطوير المؤسسات العلمية، وتهيئ المناخ العلمي، حتى تدخل الأمة عصر التكنولوجيا بخطاً ثابتة. وتحدد أخلاق الإيمان، وتقف في وجه تيارات المادية واللادينية والإباحية.. فتجمع الأصالة الحقة والمعاصرة الحقة، وترفض الجمود والتحجر، والفناء في الغرب معاً.»

(الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة) ص ١١، ٣٣، ١٧٨، ١٧٩

وإسلامية ثقافتنا العربية. وعروبة هذه الثقافة الإسلامية لا تعني برأي الدكتور يوسف - القطيعة مع التيارات الثقافية التي ابتعد بها التغريب - الذي فرض عليها أحيانا - عن هذه الهوية العربية الإسلامية لثقافتنا. فالرجل داعية حوار مع مختلف التيارات الثقافية في واقعنا العربي والإسلامي، بل وأحد أبرز المشاركين في الحوارات مع رموز هذه التيارات. يرى "ضرورة تواصل الحوار بين المخلصين من دعاة الأصالة ودعاة المعاصرة، لتصحيح المفاهيم، وإزالة الشبهات، وتقريب الشقة، ومحاولة توسيع مساحة المتفق عليه، وتأكيد التعاون فيه، ومناقشة الجادة في المختلف فيه، والعمل على تضييقه، والاجتهاد في الوصول إلى الصواب أو الصحيح أو الأصح، ما وجدنا لذلك سبيلا، وإلا وسعنا التسامح والتماس الأعذار للمخالفين، وإن اعتبرناهم نحن مخطئين."[1]

بهذه الروح وبهذا المنهاج تحدث الدكتور يوسف عن الثقافة العربية الإسلامية، في مشروعه الفكري، الذي مثل بكل مبادئه ومعالمه - إسهاما متميزا في ثقافتنا العربية الإسلامية المعاصرة.

* * *

● المشروع الحضاري الإسلامي

وإذا كان المقصد الأساسي من المشروع الفكري للدكتور يوسف القرضاوي هو الإسهام - مع علماء ومفكري النقطة الإسلامية

(1) المرجع السابق، ص ١٦٣

المعاصرة في حياة الإسلام [illegible] الإحياء، والتجديد لا يقف عند فكر [illegible] فالرجل ليس واحداً من مفكري «المدن الفاضلة»، التي وقفت عند أحلام الفلاسفة، مستعصية على الممارسة والتطبيق. وإنما هو واحد من الذين يريدون تجديد الدين الإسلامي لتتجدد به دنيا المسلمين وإحياء الفكر الإسلامي ليحيا به موات الحياة الإسلامية المعاصرة. ولذلك صرح في مشروعه [illegible] «العمل» و«الفكر» بـ«الحركة». وكانت عينه دائماً على أن تصب كل مفردات المشروع الفكري في بلورة «الحل الإسلامي» لمشكلات الأمة المعاصرة، وصياغة «المشروع الحضاري الإسلامي» الذي يمثل بالنسبة للصحوة الإسلامية المعاصرة - دليل العمل الذي ينير لها الطريق وطوق النجاة، كي لا تدخل في طريق مسدود كما يمثل بالنسبة للنهضة المنشودة - البديل الإسلامي للمشروع الحضاري الغربي، الذي مثل بالنسبة لأمتنا - منذ قرنين من الزمان - «التغريب» و«الاستلاب الحضاري» الذي شوه معارفنا، وكاد أن يمسخ هويتنا، وأن يجعل منا فردة ترفض على أنغام الآخرين! وذلك فضلاً عن ما جلبه على واقعنا المادي من ضعف وتشرذم وإحباط!

فالبديل الإسلامي - بدلاً من الغربي - والحل الإسلامي والمشروع الحضاري الإسلامي - الذي هو الطريق الطبيعي للإصلاح والتقدم في هذه الأمة هو المقصد الأساسي، والمطلب الأعز من وراء المشروع الفكري للدكتور يوسف القرضاوي.

فنحن [illegible] الحضارة الإسلامية مع حضارات [illegible] في الإبداع المادي وحقائق وقوانين علوم مادة «الصيغة» [illegible] إلا أن حضارتنا متميزة بروحها عن غيرها من حضارات [illegible] فالحضارات لا تتميز بجسمها وإنجازاتها المادية وإنما تتميز بالروح، أي مجموعة العقائد والمفاهيم والقيم والآداب والتقاليد.

لقد امتازت الحضارة الغربية بإنجازاتها المادية التي لا تنكر والتي استطاعت تطويع «الصيغة» لخدمة الإنسان، لكن روحها تميزت بالعديد من السلبيات، التي تعود أصولها إلى جذورها اليونانية والرومانية. ومن هذه السلبيات:

١ ـ الغبن في معرفة حقيقة الألوهية

٢ ـ والنزعة المادية.

٣ ـ والنزعة العلمانية

٤ ـ والصراع

٥ ـ والاستعلاء على الآخرين.

فنحن لا نرفض عبقرية الحضارة [illegible] والعلوم الكونية، وإنما نرفض [illegible] مجموعة العقائد والمفاهيم والقيم [illegible] ولذلك، نرفض أن يكون حياتها الحضاري في هذه الروح [illegible] حضارة الحضاري النهضوي [illegible] في الإسلام [illegible] الصيغي والأقوم والأحدي [illegible] الروح [illegible] الإسلامية «التي تميزت وامتازت» ـ.

[illegible]

١ ـ التوازن والتكامل بين الربانية والإنسانية، بين الوحي والعقل، بين الروحية والمادية، بين الأخروية والدنيوية، بين الفردية والجماعية، بين المثالية والواقعية، بين الماضوية والمستقبلية، بين المسئولية والحرية، بين الاتباع والابتداع، بين الواجبات والحقوق، بين الثبات والتغيير، بين الاعتزاز والتسامح، بين العلم والإيمان، بين الحق والقوة، بين العقيدة والعمل، بين الدين والدولة، بين التربية والتشريع، بين وازع الإيمان ووازع السلطان، بين الإبداع المادي والسمو الخلقي، بين القوة العسكرية والروح المعنوية »[1].

٢ ـ ولذلك، كانت العلمانية ـ التي تعزل السماء عن الأرض، وتحرر العمران الإنساني من التدبير الإلهي ـ مرفوضة في الحل الإسلامي، بينما هي قسمة من أبرز قسمات المشروع الحضاري الغربي. « فالغرب نادى بالعلمانية ليواجه بها كهنوت الكنيسة الغربية، التي وقفت مع الجمود ضد الفكر، ومع الجهل ضد العلم، ومع الملوك ضد الشعوب، ومع الأغنياء والإقطاعيين ضد الفقراء والكادحين.

ونحن لا نوجد لدينا ثانوية ولا كهنوت، ولا رجال دين، ما خلّوه في الأرض فهو مخلول في السماء، وما عقدوه هنا فهو معقود هناك.

فالعلمانية في الغرب لها ما يبررها من فكرها الفلسفي، منذ عهد أرسطو الذي يرى أن الله لا علاقة له بالعالم، لا يعلم فيه شيئاً، ولا يدبر فيه أمراً، ومن فكرها الديني، الذي ترك ما لقيصر لقيصر وما لله لله!

---

(١) المرجع السابق، ص ١٥ ـ ٥٢

أما العلمانية عندنا فهي ضد الدين، وضد فكر الأمة، وضد مصلحتها، وهي تجرد الأمة من طاقات هائلة، كان يمكن أن تفجرها العقيدة والشريعة لو كانت العقيدة هي الموجهة، والشريعة هي الحاكمة..»[1]

ولذلك، «فإن العلمانيين، الذين يريدون أن يفرغوا مجتمعاتنا من الدين، أو يحكموا الأمة بغير شريعة الله، إنما يشوبون عنان شعوبهم قسرا، ويحكمونها كرها وقهرا، ويقودونها عمّ أوقها إلى ما لا تريد ولا تحب، فتشعر بالتناقض بين عقيدتها ونظامها، وبين ضميرها وواقعها..»[2]

٣- ومن هنا، فإذا كان العيش في عقيدة الألوهية كلمة من سمات روح الحضارة الغربية، قد جعل الكفر والإلحاد والعلمانية والتحلل فكرا طبيعيا في مجتمعات تلك الحضارة، فإنها في المجتمعات الإسلامية إنما تمثل عدوانا وحربا على مقومات ثوابت الحضارة الإسلامية، ولذلك كان «جهادها، هي ومن يسندها من قوى داخلية وخارجية، فريضة العصر، وواجب اليوم..»[3]

كما أن «الردة الفكرية»، التي لا تستنجح بنجح مرتدين معلنين، بل تعلف فكرها، وتتسلل به إلى العقول تسلل الأسقام في الأجسام، والتي تطالعنا كل يوم أثارها، هي أخطر من الردة المكشوفة، فالنفاق أشد خطرا من الكفر الصريح، ونفاق «عبد

---

(١) (ثقافتنا العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة) ص ١٦٩

(٢) (فتاوى معاصرة) جـ ١ ص ٣٣، ٣٤

(٣) (في فقه الأولويات) ص ١٧

سه بن أبي» أحضر على الإسلام من كفر «أبي جهل» والفريضة المؤكدة هنا هي محاربتهم بمثل أسلحتهم، الفكر بالفكر، حتى تكشف أوراقهم، وتسقط أقنعتهم، وتزال شبهاتهم بحجج أهل الحق.»[1].

* * *

وإذا كان هذا خيار الحضاري العربي المادي العلماني مرفوضا من الإسلام وحضارته فإن وسطية الإسلام، ترفض أيضا خيار العلو الإسلامي، والتشدد والتطرف المنسوب إلى الإسلام.

ولقد جعلت الوسطية الإسلامية من المشروع الفكري للدكتور يوسف حربا معلنة على جبهتين معا: جبهة العلو العلماني، وجبهة العلو الإسلامي.

فهو قد حدد للعلو والتطرف الإسلامي مظاهره، المتمثلة في:

«١ - التعصب للرأي، وعدم الاعتراف بالرأي الآخر.

٢ - وإلزام جمهور الناس بما لم يلزمهم الله به.

٣ - والتشديد في غير محله.

٤ - والغلظة والخشونة.

٥ - وسوء الظن بالناس.

---

[1] جريمة الرأي وعقوبة المرتد، ص ٧٠-٧٣، طبعة القاهرة سنة ١٤١٦هـ سنة ١٩٩٦م.

٦ ـ والسقوط في هاوية التكفير .»

ولم يبق باللوم ، في ظهور هذا الغلو والتطرف في حياتنا الإسلامية المعاصرة ـ على طرف دون طرف ، وإنما أبصر بالمنهج الوسطي الموضوعي جميع الأسباب التي تضافرت على إيجاد هذه الثمرة المرة في واقعنا الإسلامي وذلك من مثل

«١ ـ ضعف البصيرة بحقيقة الدين

٢ ـ والاتجاه الظاهري في فهم النصوص

٣ ـ والاشتغال بالمعارك الجانبية عن القضايا الكبرى

٤ ـ والإسراف في التحريم

٥ ـ والتباس المفاهيم

٦ ـ واتباع المتشابهات وترك المحكمات

٧ ـ وضعف المعرفة بالتاريخ والواقع وسنن الكون والحياة

٨ ـ وغربة الإسلام في ديار الإسلام .

٩ ـ والهجوم العلني والتآمر الخفي على الأمة الإسلامية

١٠ ـ ومصادرة حرية الدعوة إلى الإسلام الشامل

١١ ـ واللجوء إلى العنف والتعذيب .»[٢]

---

١ ـ الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف ص ٤٣ ، ٦ ـ طبعة القاهرة ـ ٥ ـ ٤ هـ سنة ١٩٩٤م

٢ ـ المرجع السابق ص ١٢٩

ومع حب الدكتور يوسف للشهيد سيد قطب (١٣٢٤ - ١٣٨٦ هـ / ١٩٠٦ - ١٩٦٦م) واحترامه لعلماء الظاهرية الجديدة، المنصوصية الحرفية، كان حب الحق عنده أكبر، والوعي بمصلحة الأمة أكثر، والحرص على تحليله بوجه حقيقي للحل الإسلامي هو الأولى. فتحدث عن ملابسات ظهور فكر العلو الإسلامي وخاصة في عقدي الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين الميلادي، منتقدا قدرة المستعلي على الواقع والغاصب على الأمة والرافض لكل ما لديها. وكذلك قدرة الجامد المقلد، المتمثل فيما سماه الدكتور يوسف بـ «الظاهرية الجديدة».

صنع ذلك في العديد من مؤلفاته، وكتبه فقال: «إن فترة الخمسينيات والستينيات كانت مجالا لانتشار نوع من الأفكار السوداء في الساحة الإسلامية، فكر الرفض والتشاؤم والاتهام وسوء الظن بالآخرين على اختلاف نزعاتهم واتجاهاتهم، حتى المسلمين منهم، فكر التفسيق والتبديع بل والتكفير، وساعد على ذلك الجو الخانق الذي كانت تعيشه الحركة الإسلامية».

في هذه المرحلة، ظهرت كتب الشهيد سيد قطب التي تنشر المرحلة الأخيرة من تفكيره، الصفحة الثانية من (في ظلال القرآن) و(معالم في الطريق) و(الإسلام ومشكلة الحضارة) والتي تنضج تكفير المجتمع، وتأجيل الدعوة إلى النظام الإسلامي، والسخرية بفكرة تجديد الفقه وتطويره، وإحياء الاجتهاد، والدعوة إلى العزلة الشعورية عن المجتمع، وقطع العلاقة مع الآخرين، وإعلان الجهاد

الهجومي على الناس كافة، والاستخفاف بدعاة التسامح والمرونة ورميهم بالسذاجة والهزيمة النفسية أمام حضارة الغربية

كما ظهرت كتب الشيخ سعيد حوى، وهي تتبنى نفس الفكر، وتسير على الخط ذاته

وفي نفس الوقت، راح فئة من أسميهم بـ الظاهرية الجدد ونهد غلب على الفكر الإسلامي الإعنات والتصلب وتقهقرت روح الوسطية السمحة الميسرة، إلى حين»

ثم يدعو الدكتور يوسف إلى معالجة هذا العلو إذ «لابد من التغلب على فكر المحنة، أو فكر الأزمة، لينتقل إلى الفكر الوسطي المعتدل المعبر عن وسطية الأمة المسلمة، ووسطية المنهج الإسلامي الذي أراد الله به اليسر، ولم يرد به العسر»

وإذا كان «فصيل العلو» الإسلامي، قد رفض الواقع الإسلامي، وحكم عليه بالكفر، انطلاقا من الحكم عليه بالجاهلية، فقد انتقد الدكتور يوسف هذا التوصيف المعاني، وقال: «إن مجتمعنا المعاصر ليس جاهليا، كالمجتمع الذي واجهه الإسلام عند ظهوره، وإنما هو مجتمع خليط من الإسلام والجاهلية، فيه عناصر إسلامية أصيلة، وعناصر جاهلية دخيلة، فيه قلة مرتدة، وفيه منافقون، لكن جماهير الأمة ملتزمة بالإسلام، والمتأثرون بالغزو الفكري جهال لا كفار، ومعظمهم لم ينكر حق الله في أن يشرع لعباده ما يشاء ويلزمهم بما يريد، ولكنهم يظنون أنه منحهم حرية الاختيار فيما

(١) (أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة) ص ١١٦ - ١١٨

يحكمون به أنفسهم في بعض شئون الحياة ... أو أن ما جاء به الإسلام في النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي أشياء قليلة لا تبلغ أن تكون نظاماً يوجه الحياة ... وبعضهم يقول لا يمكن تطبيقه في هذا العصر ... وهذا إنما جاء من جهل بحقيقة دينهم وشموله ... إن جل هؤلاء الناس لا ينكرون حكم الله، لكنهم يجهلونه ...»[1].

هكذا ينتقد الدكتور يوسف من موقع الوسطية الإسلامية جامعة العلم الديني كما سبق وينتقد العلم اللاديني.

وكما دعا إلى الحوار مع العلمانيين ومحاربة فكر الردة بالفكر المؤمن ... فلقد دعا إلى المعالجة الجذرية والشاملة لأسباب العلم الديني، فلم يوجه اللوم إلى الشباب وحدهم ... ولا إلى الحكام دون سواهم ... وإنما دعا إلى:

١ ـ رجوع الحكام إلى شرع الله

٢ ـ ومعاملة الشباب بروح الأبوة والأخوة

٣ ـ والبعد عن التطرف في تصوير التطرف

٤ ـ وفتح النوافذ لنسيم الحرية.

٥ ـ والبعد عن مقابلة التكفير بمثله.

٦ ـ وأن يفقه الشباب الجزئيات في ضوء الكليات

٧ ـ والتفقه في مراتب الأحكام ... وأدب الاختلاف

---

(١) (الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط) ص ١٠١ ـ ١٣١

٨ ـ والعلم بقيم الأعمال ومراتبها

٩ ـ وتقدير ظروف الناس وأعذارهم .

١٠ ـ والفقه في سنة الله في خلقه .

١١ ـ واحترام التخصص .

١٢ ـ والأخذ عن أهل الورع والاعتدال

١٣ ـ والتيسير لا التعسير .

١٤ ـ والدعوة بالحكمة والحسنى

١٥ ـ ومعايشة جماهير الناس

١٦ ـ وحسن الظن بالمسلمين ...»[1] .

فانطلاقا من تميز الحضارة الإسلامية عن روح الحضارة الغربية ، رفض الدكتور يوسف الخيار الحضاري الغربي العلماني

وانطلاقا من الوسطية الإسلامية ، رفض العلو الديني ، علو الجاهلية والتكفير والاستعلاء ، والحرفية والجمود

يتعين الخيار ، والخيار مشروعه الفكري إلى «الحل الإسلامي» ، خيار حضاري للنهضة الإسلامية المنشودة ، هذا الخيار الذي يحتاج إلى صياغة الإسلام بديلا حضاريا عصريا وإلى حركة إسلامية تجاهد في سبيل تطبيق وتحقيق هذا البديل وإلى مجتمع إسلامي يحتضن هذا البديل ، وإلى دولة إسلامية تحكم المسلمين بالإسلام ، «فإذا كان الحل الإسلامي ، هو

---

(١) (الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف) ص ١٣٠ ـ ٢٢٨

قيام مجتمع إسلامي حقيقي بالإسلام ... فلا بد من
حكم ودولة ... ولا قيام لحكم الإسلامي وتدريبه الإسلامية ،
لا بد من حركة إسلامية داعية شاهدة ... تجهد ... وتدعو إليه
وتعد له رجاله وأنصاره ... فكل الدول قد استنهض وعدت في
حركتها خاصة تفكيرها وعقيدتها أيديولوجيتها ،

* * *

... [illegible] ...
... [illegible] ...
... [illegible] ...

و أ ... مشروع فكري ... وصاحبه ... يعاصم
... يكفر بسبب ... ما هي ... سنة ... عرفه في
... فيه ... أن ... يدعي ... سنة ...
... فكرية

... يقدم ... يكتب في
... على ... لأنوف ... على ...
... بكلمات ... معروف عن ... من ...

... كتب ... في ... عن ... كتب ... في
التصوف ـ علم السلوك . فقد

... هو أعلمه من نفسي من تقريط في حق الله تعالى ، وتقصير في طاعته سبحانه ، وأن حديثي مهما يكن عن الطيران في هذه الأجواء العليا

فكيف أُلقي بنفسي في بحر خضم لا أحسن السباحة فيه ، ولا الغوص في أعماقه ؟

ولذا كان لي فضل هذا ـ ولفضل الله وحده ـ فهو أني أعرف نفسي جيدا ، ولا أستطيع فكره أن تخدعني عن سر عورتها ، وكشف زيفها

ولم يعرني عن سذاجة خصومتها مدح الناس لي ، وثناؤهم على شخصي ، وذلك لأن الخلق يتعاملون مع المظاهر لا

السرائر ، مع القشور لا مع اللباب ، مع السطوح لا مع الأعماق .

وأنا أتمثل دائمـا بقـول ابن عطاء الله (٧٠٩هـ ١٣٠٩م) فى (حِكَمه) :

«الناس يمدحونك بما يظنونه فيك ، فكن أنت ذاما لنفسك لما تعلمه منها .. أجهلُ الناس من يترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس» !

وكم أخـجل من نفـسى ـ والله ـ حين يُضـفـون علىّ من الأوصاف مـا لستُ أهلاله ، وهذا من جـميل ستـر الله على عباده ..

ثم قوّى عزمى (على الكتابة فى علم السلوك) قوة رجائى فى رحمة الله تعالى ومغفرته وإحسانه ، وأنى إن لم أكن أهلا أن أنال رحمته ، فرحمته أهل أن تنالنى .

وقد قرأت فى الصحيح :

أن رجلا جاء يسأل النبى ، ﷺ ، عن الساعة ، فقال له :

ـ « وما أعددت لها » ؟

ـ قال : والله ما أعددتُ لها من كثـير صـلاة ولا صـيام ولا صدقة ، ولكنى أحب الله ورسوله ؟

ـ فقال ﷺ له : « أنت مع من أحببت » [1] ..

* * *

(١) متفق عليه انظر (الحياة الربانية والعلم) ص ١٦ ، ١٧ .

هكذا نجد أنفسنا إزاء تواضع يزدان به العلماء . .

وإزاء عـالم تزدان به الأمـة . . وإزاء مـشـروع فكرى ، إزدان بالوسطية الإسلامية ـ التى هى جوهر منهاج الإسلام ـ مد الله فى عمر عالمنا الجليل . . ونفعنا بعلمه ـ الذى جسده هذا المشروع . . الذى قاربت كتبه التسعين كتابا ـ والذى تتوالى ثمراته اليانعة والناضجة بالجديد والمفيد . .

إننا إزاء ثمـرة من ثمـار الإسـلام . . أعظم نعم الله على المؤمنين . .

فالحمد لله على نعمة الإسلام . . والصلاة والسلام على نبى الإسلام .

الفهـــــرس

صفحة

تعريف فى سطور ٣

المدرسة الفكرية ٥

المشروع الفكرى ١٦

من قضايا المشروع الفكرى: ٢٦

- الانتماء إلى الأمة الإسلامية الواحدة ٢٧
- الوسطية الإسلامية الجامعة ٣٠
- الإحياء المعاصر للاجتهاد الإسلامى ٤٣
- منهاج التعامل مع القرآن الكريم ٤٨
- منهاج التعامل مع السنة النبوية الشريفة ٥٠
- التجديد للفقه الإسلامى ٥٢
- الإفتاء الإسلامى المعاصر ٥٨
- الثقافة العربية الإسلامية ٦١
- المشروع الحضارى الإسلامى ٦٣

وأخيرا: تواضع العلماء ٧٥

إلى القارئ العزيز

في هذه السلسلة الجديدة

إذا كان «التنوير الغربي» هو تنوير علماني ، يستبدل العقل بالدين ، ويقيم قطيعة مع التراث ..

فإن «التنوير الإسلامي» هو تنوير إلهي ، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار ، تصنع للمسلم تنويرا إسلاميا متميزا ،

ولتقديم هذا التنوير الإسلامي للقراء ، تصدر هذه السلسلة ، التي يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامي المعاصر :

- د . محمد عمارة
- المستشار طارق البشري .
- د . حسن الشافعي
- د . محمد سليم العوا .
- ا . فهمي هويدي
- د . جمال الدين عطية .
- د . سيد دسوقي
- د . كمال الدين إمام .

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح ، لإنارة العقل بأنوار الإسلام .

الناشر

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع